الفصل الرابع

{مناقشة آراء المستشرقين الفرنسيين وتفسيراتهم بالاعتماد على مؤلفات السيرة النبوية الشريفة}

المبحث الأول: {الوحي}

المبحث الثاني: {ادعاء الأثر النصراني في النبي عليه السلام}

المبحث الثالث: {علاقة النبي ﷺ باليهود}

المبحث الرابع: {النبي عليه السلام وتعدد الزيجات}

الفصل الرابع

مناقشة آراء المستشرقين الفرنسيين وتفسيراتهم بالاعتماد على مؤلفات السيرة النبوية الشريفة

في هذا المبحث، نسعى بعون الله إلى محاورة الأفكار والتفسيرات الإستشراقية عامة والفرنسية على وجه الخصوص، لاسيما في المحاور التي تمثل قاسماً مشتركاً وساد اتفاق حولها، وهي:

١- الوحي.
٢- الأثر الديني النصراني في النبي عليه السلام.
٣- علاقة النبي (ﷺ) باليهود.
٤- النبي عليه السلام وتعدد الزوجات.

وعلى الرغم من أهمية الجهود التي تبذل، وعلى المستويات كافة، الفكرية على وجه الخصوص منها خاصة، للدفاع عن الرسول الكريم (ﷺ) وسيرته الشريفة ضد كل الإفتراءات والزيف والتشويه، فإنها ستبقى قاصرة أمام عناية الله سبحانه وتعالى لرسوله، عليه السلام حيث يقول له في كتابه العزيز وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس (٦٧) [١].

(١) سورة المائدة، آية ٦٧.

المبحث الأول

موضوع الوحي

نظر المستشرقون إلى موضوع الوحي نظرة تنم عن الشك بشكل عام، فمنهم من عدّ نزول الوحي• محض كذب وادعاء، ومنهم من فسر الوحي أو ما كان يراه النبي عليه السلام ويسمعه في حقيقته لا يتعدى كونه حالة نفسية عكستها ضغوط إجتماعية ونفسية عاشها النبي (ﷺ) جراء يتمه المبكر.

كما يرى المستشرقون أن هناك أناساً يعتقدون بصدق أنهم يتلقون رسائل سمعية وبصرية عقلية من العالم الآخر[١]، اعتبروها حالات من الهوس تنال عظماء من الناس[٢].

ووفق هذا المنظور، توجه الإستشراق عموماً إلى مناقشة وتفسير الوسيلة التي كان الله سبحانه وتعالى يتصل من خلالها حامل رسالته محمد عليه السلام.

و تذكرنا هذه المواقف للمستشرقين بمواقف تاريخية وقعت في مكة، بداية الدعوة الإسلامية حينما وقفت قريش موقفاً متطرفاً من الرسول (ﷺ) فاتهمته بالسحر والكهانة والجنون بعد أن كانوا شهدوا له برجاحة العقل والاتزان ووصفوه بالصادق الأمين[٣].

وقد ردّ عليهم القرآن الكريم في سورة النجم: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾.

• في ترجمة سفاري (Savary) للقرآن (١٧٨٣م) وصف النبي بأنه لم يكن يستضيء بوحي الهي. انظر: فرج، السيد احمد، الإستشراق، النشأة، الذرائع، المحتوى، ص١٢٦.

(١) الحاج، ساسي سالم، الظاهرة الإستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ج٣، ص١١٧.

(٢) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص١١٤.

(٣) ابن هشام، أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٨هـ/٨٣٣م) سيرة النبي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، [مطبعة المدني، القاهرة] ج١، ص١٢٧.

منح علماء اللغة العرب تحديدات عدة لمعنى الوحي:

- "الإشارة، الكتابة، والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك، والصوت يكون في الناس وغيرهم كالوحي والوحاة"[١].
- يضيف ابن منظور إلى ذلك قوله: وحي وحياً وأوحى، أي كتب وقد يراد بها ما يكتب على الحجارة وينقش عليها[٢]. والوحي على وزن فعيل السريع يقال موتٌ وحيٌ[٣].
- "إعلام الله تعالى أنبياءه إما بكتاب أو برسالة ملك في منام أو إلهام بأن يذفث في روع النبي ما يريد الله بلاغه له"[٤].

وإذا رجعنا إلى كتب الديانات التوحيدية، كالعهد القديم على سبيل المثال، نجد بأن الرؤية، الوحي، قد يرد ذكرها في التوراة على أنها كلام الله، حيث تتردد عبارة "أن الرب كلم موسى".

وفي سفر حزقيال، تترد عبارة "كان إلى كلام الرب قائلاً"[٥]، وأن أنبياء بني إسرائيل يتلقون الوحي "إما من الله مباشرة، أو عن طريق رجل الرب أو عن طريق الرؤيا"[٦].

وفي الإنجيل، يظهر الوحي الإلهي على أنه كلام أو كلمة عيسى عليه السلام، فما سمعه الحواريون من السيد المسيح هو الوحي من الله ثابت في نصه وحروفه[٧].

ولتأكيد مسألة الوحي واختيار العناية الإلهية لمحمد بن عبدالله (ﷺ) نبياً ومبشراً، سنحاول تتبع الكيفية التي جاء فيها الوحي بالاعتماد على المصادر الأصيلة لكتب السيرة، وهي المصادر ذاتها التي استقى المستشرقون منها مادتهم العلمية عن هذا الموضع وذلك في سبيل الرد على التفسيرات الواهنة لكل مستشرق أو مستغرب عن العقيدة السمحة.

---

(١) الفيروز أبادي، مجد الدين محمد ابن يعقوب، (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، القاموس الوسيط، [دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م] ج٣، ص٣٩٩.

(٢) لسان العرب، ج١٥، (مادة وحي)، ص٣٧٩.

(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م) مختار الصحاح، [المركز العربي، بيروت، بلا] ج١، ص٢٧٩.

(٤) جبري، عبدالمتعال، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص٧١.

(٥) العهد القديم، سفر حزقيال، الإصحاح السادس، ص١١٨٢.

(٦) جبري، عبدالمتعال، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص٧٢.

(٧) صالح، سلوى الحاج، المسيحية العربية وتطوراتها، [ط٢، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٨]ص٣٨.

ورد تعبير الوحي في القرآن الكريم بصيغ عدة منها "أوحينا – نوحي – يوحي" في ٧٨ آية. فقد جاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (٣). وقد جاءت هذه الآية تأكيداً لأمر الوحي للأنبياء لأن الوحي يستعمل أيضاً في الإلهام كما يكون لغير الأنبياء(٤) كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ (٥) وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ (٦).

اما ما جاء في كتب السيرة والحديث الشريف، فقد أورد البخاري (ت٢٥٦ هـ) ما يلي: "ابتدأ ببيان بدء الوحي وقدمه على الإيمان لأن الاعتماد على جميع ما سيذكره في الصحيح يتوقف على كونه (ﷺ) نبياً أوحي إليه، والإيمان به إنما يجب لذلك"(٧)، وعليه فإن الوحي إلى النبي (ﷺ) هو بدء الدين وبيانه.

أما عن بدء البعثة النبوية في مصادر السيرة، فيروي ابن هشام (ت٢١٨ هـ) عن ابن اسحاق رواية يرجع سندها إلى الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، حدثته "أن أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به – الرؤيا الصادقة، لا يرى رسول الله (ﷺ) رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح. قالت: وحبب الله تعالى إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده"(٨).

ويرد ابن هشام بالاعتماد على رواية ابن إسحاق فيقول: "قال ابن إسحاق: وحدثني وهب بن كيسان قال: [لي] عبيد: فكان رسول الله (ﷺ) يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يُطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله (ﷺ) جواره من شهره

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٢.
(٢) سورة النجم، آية ٣.
(٣) سورة النساء، آية ١٦٣.
(٤) البغدادي، جلال الحنفي، شخصية الرسول الأعظم قرآنياً [ط١، دار الحرية، بغداد، ١٩٩٧] ص١٩.
(٥) سورة القصص، آية ٧.
(٦) سورة النحل، آية ٦٨.
(٧) أبي عبدالله محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، صحيح البخاري [دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦] ج١، ص٥.
(٨) سيرة النبي، ج١، ص١٥٣. انظر كذلك: ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبدالواحد [عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦] ج١، ص٢٨٥.

ذلك، كان أول ما يبدأ به – إذا انصرف من جواره – الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها، وذلك الشهر [شهر] رمضان، خرج رسول (ﷺ) إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى. قال رسول الله (ﷺ): فجاءني جبريل، وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ؛ قال: قلت: ما أقرأ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ؛ قال: فقلت: ما أقرأ قال: فغتني• به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلني، فقال: اقرأ؛ قال: قلت: ماذا أقرأ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ؛ قال: فقلت: ماذا أقرأ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)[١] قال فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتاباً، قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل، صاف قدميه في أفق السماء يقول: أنت رسول الله وأنا جبريل، قال: فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت اصرف وجهي عنه في آفاق السماء، قال: فلا انظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك؛ ثم انصرف عني"[٢].

وفي رواية سندها مرفوع الى هشام بن عروة ثم عروة بن الزبير "إن رسول الله (ﷺ) قال يا خديجة إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً لقد خشيت أن أكون كاهناً •

• يروى فغطني كما في الصحيحين، وغتني أي: خنقني (حتى بلغ مني الجهد) وفعل ذلك ثلاثاً. قال أبو سلمان الخطابي: إنما فعل ذلك به ليبلو صبره، ويحسن تأديبه، فيرتاض لاحتمال ما كلفه به من أعباء النبوة. انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج١، ص٣٩٣.

(١) سورة العلق، الآيات من ١-٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٥٥. وكذلك: الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك [دار احياء التراث العربي، لبنان، بيروت] مجلد ١، ج٢، ص٢٠٥.

• وفي رواية أخرى: إنني أخشى ان يكون بي جن. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٣٠.

فقالت إن الله لا يفعل بك ذلك يا ابن عبدالله إنك تصدق الحديث وتوفي الأمانة وتصل الرحم"[١].

أما عن هيأة الوحي فقد "أخبر معن بن عيسى عن مالك بن أنس عن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة أن الحارث بن هشام قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي. فقال رسول الله (ﷺ): أحياناً يأتي مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة رضي الله عنها: لقد رأيت ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقاً"[٢].

وفي هذا الصدد آية قرآنية تؤشر إلى صلة الرسول (ﷺ) بالوحي والطريقة التي كان فيها الرسول (ﷺ) يجهد نفسه في حفظ ما يتلى عليه، فقال عزّ من قائل: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾[٣]. فكان رسول الله (ﷺ) بعد ذلك، حينما يأتيه جبريل (الوحي) يستمع دون أن يردد معه. وقد ظل النبي عليه السلام عبداً مأموراً محتسباً يبلّغ فلا يضيف لكلام الله – شيئاً – الذي يثبت في قلبه فيتكلم به أو يأمر بكتابته[٤] وتدوينه. وكان جبريل الذي وصف بالروح الأمين هو الذي يبلغ النبي (ﷺ) آيات الكتاب الكريم كما تسلمه[٥].

تمثل الوحي (جبريل عليه السلام) للرسول (ﷺ) بأشكال مختلفة ونزل عليه في أزمنة وظروف مختلفة. وجاء عن ابن إسحاق قوله: "وقد قال إبراهيم عليه السلام، ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ﴾[٦]. وهذا دليل على أن الوحي كان يأتي الأنبياء في منامهم كما يأتيهم في اليقظة"[٧].

---

(١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى [مطبعة بريل، ليدن، ١٣٢٢هـ/ج١، ص١٣٠، انظر كذلك: البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، السنن الكبرى، [ط١، دائرة المعارف، الهند، ١٩٣٧] ج٩، ص٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٣٢.

(٣) سورة القيامة، الآية ١٦-١٧.

(٤) الكتاني، عبدالحق، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، [ط١، الكتاب العربي، بيروت، بلا] ص١١٥.

(٥) الصغير، محمد حسين علي، ظاهرة الوحي والمستشرقون، [بحث القي في ندوة المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الإسلامي] كلية الفقه، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٦، ص١١٤.

(٦) سورة الصافات، آية ١٠٢.

(٧) السهيلي، الروض الأنف، ج١، ص٢٦٩.

وقد "كان النبي (ﷺ) يرسل الحديث ويقوله ويتبع ذلك أهله وأصحابه ثم يتلوا القرآن ويقرأه فما اتفق يوماً أن تشاكل النصان أو تشابه القولان"[١]. فالقرآن كلام الله له أسلوبه الخاص، نطق به محمد (ﷺ) بكل أمانة. أما الحديث الشريف، فهو كلام النبي يشرّع فيه، وله أيضاً أسلوبه الخاص، وقد ظلت ظاهرة الوحي التي رافقت حياة النبي عليه السلام، مرئية، مسموعة، له وحده، لكنها كانت يقيناً بدليل عظمة ما كان يتلوه عليه السلام من كلام الله العزيز الحكيم، وعظيم أثره في النفوس التي صدّقته وآمنت به من غير أن تراه.

وكانت للوحي علامات واضحة تبدو دائماً على ملامح وجه النبي عليه السلام حيث يقول ابن سعد: في رواية مرسلة عن عبادة بن الصامت "أن النبي (ﷺ) كان إذا نزل عليه الوحي كُرِبَ له وتربد وجهه"[٢].

وقف المستشرقون عند هذا الموضوع، ليخرجوا بنتيجة ليس لها أساس في الروايات التاريخية المسندة، وقد حاولوا أن يعثروا على حالات تقودهم إلى تفسير الوحي ونتائج تبليغ الرسالة السماوية وكأنه حالة مرضية عصبية[٣]، حيث أن المريض بها يكون في حالة غيبوبة وغثيان وشرود.

وقد تغافل المستشرقون عن أن النبي عليه السلام استخدم ذاكرته بعد نزول الوحي إستخداماً كاملاً، في حين يفقد المصابون بهذه الأمراض قدرتهم على تذكر ما يحدث في تلك النوبات لكون الإدراك لديهم يتعطل في تلك اللحظات.

ويفسر الأطباء من أهل الاختصاص هذه الحالات بأنها "تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ، يفقد فيها المريض شعوره. أما ما قد يهلوس به المريض فهو ليس إلا ذكريات قديمة تتكرر بتكرار النوبات بشكل واحد"[٤].

وإذا حاولنا القياس على هذا التفسير العلمي الذي لا يمكن أن يرفضه دعاة العلم والمادية، نجد أن الوحي لم يكن يأتي بتكرار نمطي، لكنه على مرّ ثلاثة وعشرين عاماً نسج للبشرية عقيدة نافعة في أمور الحياة كافة.

وكما نرى، فإن المستشرقين الفرنسيين، شأنهم شأن المستشرقين في أوروبا وأميركا، يتمسكون بهذا التفسير النفسي – المرضي عند معالجتهم موضوع الوحي.

---

(١) الصغير، محمد حسين علي، ظاهرة الوحي والمستشرقون، ص١١٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٣١.

(٣) قبيسي، حسن رودنسون ونبي الأسلام، ص١٠.

(٤) جبري عبدالمتعال، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص٧٧.

المبحث الثاني

أثر النصارى في النبي (ﷺ)

مسألة استشراقية أخرى نتعرض لها هي "أثر النصرانية على الدعوة الإسلامية" حيث تذهب روايات بعض المستشرقين إلى القول إن النبي (ﷺ) اتصل ببعض الرهبان وبأشخاص من النصارى كانت لهم معرفة بالكتب المقدسة، ونسج محمد عليه السلام قرآنه من هذه المعارف، الأمر الذي جعل الأثر المسيحي واضحاً، وكذلك الأثر اليهودي، في القرآن.

والجدير بالذكر أن قريشاً سبقت المستشرقين في هذا الإدعاء حينما قالوا إنما يعلمه جبر الرومي الذي يصنع السيوف مع رفيق له هو يسار الرومي في المروه، لحساب سيدهما[1]، وكان رد القرآن عليهم بليغاً واضحاً في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[2].

لقد تناغم هذا الزعم مع ما كان يهدف إليه• بعض المستشرقين الفرنسيين، مثل هنري ماسيّ، الذي يتطرق إلى قصة الراهب بحيرا وعلاقته بالنبي قائلاً:

"أثناء رحلاته لحساب خديجة لقي في سوريا راهباً مسيحياً، وفي التقليد الإسلامي أساطير عدة تتعلق بمقابلات محمد للرهبان (سرجيوس ، بحيرا ونسطور) وهي أساطير ترمي إلى بيان أن المسيحيين عرفوا باكراً بصفات محمد النبوية[3].

أما درمنغم في كتابه "حياة محمد"، فقد ركّز على موضوع انتشار المسيحية في جزيرة العرب وما حولها بشكل لافت، في محاولة لتهيئة ذهن القارئ لتقبل النتائج التي وصل إليها من حتمية الأثر النصراني في القرآن ويقول ما نصه: "ومما يستوقف النظر أن القرآن أقرب إلى النصرانية من الأحاديث"[4]، ويضيف عليها:

---

(١) درمنغم، حياة محمد، ص١٢٥.

(٢) سورة النحل، آية ١٠٣.

• وقد تطرق بعض الكتاب النصارى في العصور الوسطى إلى القول بأن محمداً (ﷺ) في حقيقته راهب مسيحي أو أسقف عرف في مسيحيي العصور الوسطى. أما بيلاغيوس Pelagius أو نيكولاس Nicholas قد انحرف عن الديانة النصرانية. انظر: Gabrielli, Muhammad and the Conquest of Islam, P14-15. انظر أيضاً: لوبون، حضارة العرب، ص١٠٢.

(٣) ماسييه، هنري، الإسلام، ترجمة بهيج شعبان [ط١، بيروت، ١٩٦٠] ص٤٢.

(٤) درمنغم، حياة محمد، ص٦٤.

"مما لا مراء فيه أن كان للنصرانية أثر في محمد وأن أيقظ حنفاء العرب كزيد بن عمرو ورهبان النساطرة كبحيرا ونصارى مكة كورقة بن نوفل، شعوره الديني قبل البعثة"[١]، إلى أن يصل لنتيجة مفادها "أن النصرانية تشتمل على الإسلام وتضيف إليه بعض الشيء"[٢].

وهنا لا بد من الوقوف على أشهر قصة في تاريخ السيرة النبوية الشريفة التي تعكس فكرة الإستشراق في تأثير النصرانية على الإسلام، ألا وهي قصة• بحيرا التي لم يغفلها المستشرقون الفرنسيون أيضاً.

روى ابن هشام نقلاً عن ابن اسحاق أن أبا طالب عم النبي (ﷺ) خرج في تجارة إلى الشام، مصطحباً معه إبن أخيه محمد (ﷺ) وهو غلام حديث السن، فلما حطوا رحالهم في بصرى من أرض الشام، دعاهم راهب فيها ويدعى بحيرا•• إلى طعام، وما كان يفعل ذلك من قبل حين يمرون به.

ورأى معهم محمد عليه السلام وجعل ينظر إليه ليرى ما قد علمه من علامات النبوة فيه، وسأله بعض الأسئلة عن أحواله "ورأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده"[٣]، وبعدها سأل أبو طالب عنه، ولما تأكد أن أباه مات، وأمه حبلى به، تيقن أنه النبي الموعود.

وقال لأبي طالب: "فارجع بإبن أخيك إلى بلده، واحذر عليه من يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا ما عرفت ليبغينه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده"[٤].

إن القراءة الأولية لهذه الرواية تفند المبالغة في النتائج التي توصل إليها المستشرقون.

فعمر النبي (ﷺ) حينها كان يتراوح بين التسع والثلاث عشرة سنة حسب المصادر التاريخية[١]، بدليل أن القوم لم يدعوه معهم للجلوس إلى طعام بحيرا لحداثة سنه.

---

(١) المصدر نفسه، ص١٢٤

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٣.

- وقف مونتغمري وات، على هذه القصة وترجمها حرفياً معتمداً على ابن هشام دون أن يبدي رأياً وهو مؤشر إلى ثقته بالقصة. انظر: Watt, Muhammad at MECCA P36-38.
- ورد اسم بحيري بهذه الصيغة عند ابن هشام وبهذه الصيغة بحيرا في اغلب المصادر الإسلامية.

(٣) ابن اسحاق، المبتدأ والمبعث والمغازي، ج١، ص٥٥.

(٤) ابن اسحاق، محمد بن يسار، (ت١٥١هـ/ ٧٦٨م)، المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق محمد حميد الله [مطبعة محمد الخامس، فاس، المغرب، ١٩٧٦]ج٢، ص٥٥. ابن هشام، السيرة، ج١، ص١١٦-١١٨. ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٧٥. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص١٩٤. ابن كثير، السيرة النبوية، ج١، ص٢٤٣-٢٤٥.

والحديث الذي دار بين النبي عليه السلام وبين الراهب بحيرا لم يتجاوز اسئلة عدة، حاول من خلالها الراهب اكتشاف الصفات التي يعرف بها النبي والتي وردت في الكتب المقدسة[٢].

وحين يتأكد الراهب بحيرا من توفر الصفات التي عرفها كما جاءت في الإنجيل[٣]، يطلب من أبي طالب أن يحميه من اليهود ويعود به إلى بلده، لما عُرف عن اليهود من تحريفهم للتوراة وقتلهم وتعذيبهم للأنبياء.

وفي رواية الأصبهاني حول الرحلة نفسها، يضيف على ما جاء في سيرة ابن هشام من حديث بحيرا مع أبي طالب: "كائن لابن أخيك شأن عظيم نجده في كتبنا، ما ورثناه عن آبائنا وقد أخذ علينا مواثيق"[٤]. وعندما يسأله أبو طالب عمن أخذ عليهم المواثيق، يجيب الراهب: "الله أخذها علينا، نزل به عيسى بن مريم" ثم يضيف بأن هناك من اليهود من عرفه بصفاته، وأرادوا قتله إلا أن بحيرا صرفهم عن هذا الأمر[٥].

وبقدر ما في هذه الرواية من تأكيد لنبوة محمد (ﷺ)، بقدر ما فيها من دحض لآراء المستشرقين حول تأثره عليه السلام بالديانات السابقة، النصرانية واليهودية.

ثم لماذا ينتظر محمد (ﷺ) كل هذه السنوات ليعلن عن نبوته، أي عندما بلغ الأربعين من العمر وتحديداً بعد ثلاثين سنة تقريباً؟ يذكر أنه لم يكن له سوى هذا اللقاء بالراهب بحيرا في تلك السن المبكرة التي لا تؤهله ليستوعب تعاليم الأديان السماوية.

مكسيم رودنسون شكك في هذه الرواية ورأى فيها أسطورة موضوعة ليس لها أهمية تاريخية[٦]، ويبدو أنه لم يجد فيها سوى دلالتها على نبوة محمد فشك بها.

والرحلة الثانية التي ذهبت بالرسول عليه الصلاة والسلام إلى الشام، قاد فيها القافلة التجارية التي تحمل أموال السيدة خديجة رضي الله عنها، لما أذست فيه من

---

(١) السهيلي، الروض الأنف، ج١، ص٢٠٦، أما المسعودي، فقد ذكر أن عمر النبي (ﷺ) كان ثلاث عشرة سنة. أنظر: المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين ابن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين، [ط٤، السعادة، القاهرة، ١٩٦٤] ج٢، ص٢٩٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٥٣.

(٣) السقا، أحمد حجازي، نبوة محمد في الكتاب المقدس [ط١، دار الفكر العالمي، القاهرة، ١٩٧٨] ص٩٧.

(٤) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله، (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، دلايل النبوة، [عالم الكتاب، بيروت، بلا] ج١، ص٥٣.

(٥) ابن اسحاق، المبتدأ والمبعث والمغازي، ج١، ص٥٥.

(6)Mohammed, P-47

صدق حديث وعظيم أمانة وكرم خلق، يرافقه غلامها ميسره، حيث أن الرسول عليه السلام لم يلتق بالراهب نسطور الذي تحدث إلى ميسره قائلاً له بعدما أمعن النظر إلى محمد عليه السلام وهو نائم تحت الشجرة: "ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي"• .. "وهذا النبي هو آخر الأنبياء"[1].

وميسره هو الغلام الأمين لخديجة رضي الله عنها، يخبرها بكل ما يرى، فلو كان محمد عليه السلام تحدث مع الراهب نسطور وعلامه الكتاب، لأخبر السيدة خديجة رضي الله عنها بذلك، إلا أنه أخبرها بحديثه مع الراهب، وذكر لها ما كان يراه من الملكين اللذين يظللان محمد عليه السلام في الطريق.

وتستوثق السيدة خديجة رضي الله عنها من ورقة بن نوفل ابن عمها، ما سمعت من غلامها، فيؤكد ورقة بأنه إذا صحت هذه الأحاديث لهو نبي هذه الأمة وهذا زمانه[2].

وبسبب هذه الأحاديث، مع ما عرف عنه عليه السلام من أمانة وصدق، رغبت به السيدة خديجة رضي الله عنها زوجاً لها، وكانت أول من آمن به وصدقته، وإيمانها دليل أكيد على صدق نبوته (ﷺ).

أما الشخصية الأخرى التي ركز المستشرقون عليها باعتبارها المصدر الملهم للقرآن الكريم والمؤثر الروحي في الرسول الكريم عليه السلام فهي ورقة بن نوفل•.

- يفسر السهيلي قول الراهب بأنه ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي هذه الساعة وذلك لبعد العهد بين الأنبياء كما أنه يرى أن الشجرة لا يمكن أن تعمر هذا العمر. الروض الأنف، ج١، ص٢١١.

(١) ابن اسحق، المبتدأ والمبعث، المغازي، ج٢، ص٥٩. ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٢٣. ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٨٣. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص١٩٦، ابن كثير، السيرة النبوية، ج١، ص٢٦٣.

(٢) ابن اسحاق، المبتدأ والمبعث والمغازي، ج٢، ص٥٩. ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٢٣، ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٨٣. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص١٩٦. ابن كثير، السيرة النبوية، ج١، ص٢٦٧-٢٦٨.

- هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزي، يذكر أنه أحد أربعة من قريش رفضوا وثنية قومهم وقد استحكم ورقة في النصرانية بعد ما علم من الكتاب. انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٤٦.

وفي رواية لأبن الأثير عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول (ﷺ) كان قد رأى ورقة، عليه ثياب بياض وقد أخبر أنه لو كان من أهل النار لكان لباسه غير ذلك. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٨٩. ويقول جواد علي، يحتمل أن ورقة كان من الأحناف على دين إبراهيم وليس مبشراً نصرانياً. تاريخ العرب في الإسلام [مكتبة دار الحداثة، بيروت، بلا] ص١٨٣.

يقول المستشرقون إن ورقة هو المعلم الإنجيلي الكبير الذي تلقى محمد عليه السلام تعاليمه الدينية على يديه، واقتبس وأخذ منه، وخرج إلى العالم بعد ذلك مدّعياً النبوة.

في الواقع، غلبت المبالغة على مسألة ورقة بن نوفل، هي الأخرى، لدى المستشرقين.

قامت علاقة النبي عليه السلام بورقة من خلال السيدة خديجة رضي الله عنها، إذ أنه كان ابن عمها، وهي شاهدة على تلك العلاقة الواضحة في مسيرة النبي عليه السلام منذ بدء الوحي حينما أخبرها عليه السلام بما حدث له في غار حراء، فانطلقت إلى ابن عمها وأخبرته بما رأى محمد (ﷺ) فقال لها: "قدوس، قدوس، والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتني يا خديجة، لقد جاء الناموس الأكبر• الذي كان يأتي موسى وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له فليثبت".

وقد لقي النبي ورقة بعد ذلك وهو يطوف في الكعبة، فقال له: "والذي نفس ورقة بيده، إنك لنبي هذه الأمة، لقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى .. ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف"[١].

وفي حديث أخرجه الإمام البخاري رضي الله عنه بأن خديجة رضي الله عنها انطلقت ومعها رسول الله (ﷺ) إلى ورقة الذي كان قد تنصر في الجاهلية وكان شيخاً قد عمي، وسمع الخبر من النبي وأجابه بأنه الناموس الذي نزل على موسى وتمنى أن يدركه لينصره إلا أنه توفي، وفتر الوحي[٢].

والجدير بالملاحظة أن النبي لو تعلّم شيئاً من ورقة أو كانت علاقته به تسمح بذلك لكانت خديجة رضي الله عنها أول من علم كونها أول من آمن به، وأكثر الناس تقديراً له، والأهم من ذلك أن هذا الأمر لم يكن ليخفى على قريش التي كانت لتواجه النبي به.

يورد درمنغم أن ورقة كان أول من ترجم الأناجيل[٣] وهذا ادعاء ينطوي على منطق لأن أول ترجمة عربية رسمية كاملة للعهدين، حسب بعض الغربيين، ظهرت بعد وفاة النبي (ﷺ) بقرون عدة[٤].

• يعني جبريل عليه السلام الذي نزل على موسى عليه السلام. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٢٠٧.

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٥٦. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٢٠٧.

(٢) صحيح البخاري، ج١، ص٧.

(٣) درمنغم، حياة محمد، ص٧٦.

(٤) حسن، محمدعبدالغني، الإسلام بين الإنصاف والجحود، ص١٢٢.

ويؤكد الغزالي ذلك إذ لم يجد أية ترجمة للعهد الجديد نظراً الى حاجته به، فاضطر إلى اللجوء لمخطوط قبطي كي يحرر رده في أحد مؤلفاته[١]. ويدفعنا ادعاء المستشرقين لنسأل عن أثر ورقة في الأحداث التي تلت البعثة والهجرة، علما انه توفي في العام الثاني عشر قبل الهجرة.

كما أن النبي (ﷺ) عندما أراد الله به ما أراد، كان يذهب ليتحدث[٢] في غار حراء بعيداً عن الناس، يخلد لنفسه وليس قريباً منه أحد سوى الله معلمه الأوحد.

وشدد المستشرقون عامة والفرنسيون على وجه التحديد، على ذكر الشخصيات النصرانية واعتبروها المؤثر الأساسي على الرسول الكريم (ﷺ)، لا بل على الدعوة الإسلامية، ثم ذهبوا أكثر من ذلك فجعلوه عليه السلام متأثراً برجالات آخرين، حسبوهم نصارى•، في حين لم تذكر المصادر التاريخية عنهم ذلك، نظير مولاه ومتبناه زيد بن حارثة[٣] بن شرحبيل وأمه سعدى بنت ثعلبة من طيئ، وكان أشهر موالي النبي عليه السلام وأحبهم إليه، وأصابه في الجاهلية أسر بعد أن أغير على قوم أمه التي كانت تزورهم، واشتراه لخديجة أحد أقربائها في سوق عكاظ ووهبته بدورها الى النبي عليه السلام. وقيل بل رآه النبي عليه السلام ينادى عليه في بطحاء مكة فاشتراه لخديجة رضي الله عنها التي وهبته للنبي عليه السلام فأعتقه وتبناه وهو ابن ثماني سنوات[٤].

ولتحليل قصة زيد أبعاد مهمة جداً، فالصبي الذي لم يتجاوز عمره ثماني سنوات، فضلاً عن أنه لم يكن ممن تفقه بالنصرانية، كان مؤثراً على النبي الكريم عليه السلام وهو يقترب من سن الأربعين، كما كان من السهل على قريش أن تدرك ذلك وتستخدمه ضد النبي.

معلوم ان زيد هو من أوائل الذين أسلموا وحسن إسلامهم وإخلاصهم للنبي حتى آخر أيام حياته.

هكذا نجد أن ما جاء به بعض المستشرقين حول الأثر الديني النصراني في النبي عليه السلام وفي الإسلام لا يعدو عن كونه باطلاً، فقريش وعلى الرغم من وثنيتها وأصنامها صمدت في وجه المؤثرات الدينية (النصرانية واليهودية)، وهذا دليل على عدم تأثيرها في بيئة محمد عليه السلام.

---

(١) بن نبي، مالك، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبدالصبور شاهين [دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠] ص٢٤٧.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٢٠٦.

• وفي (الأنسيكلوبيديا) دائرة المعارف الفرنسية أن زيداً مسيحي وينتمي إلى قبيلة مسيحية L'encyclopedie (Volume 8), Edition de la Roch Faucauld. 1998. P-2362

(٣) ابن هشام، السيرة، ج١ ص١٦٣. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج١، ص٩٤.

(٤) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مجلد ٤، ص٢٢٤.

كما أن القرآن الكريم بيّن بجلاء في سور وآيات الضرورة الملحة في اختيار العناية الإلهية للرسل والأنبياء في كل زمان ومكان تعبيراً عن المفاسد والمساوئ الاجتماعية والاقتصادية والحضارية، وأنزل الله تعالى عليهم المعجزات والكتب السماوية لدعم مواقفهم إزاء الكفار، وهذا هو سبب التشابه في ما بينها والذي أشار إليه درمنغم وغيره من المستشرقين، وهو تأكيد على قدسية القرآن وذلك بعيداً عن مسألة التشريع التي جاءت في القرآن الكريم بكل ما يمكن أن يكون عليه كتاب الله لخاتم الأنبياء وخاتم الكتب.

ويجدر القول في الختام إن العناصر التي سبق الحديث عنها في هذا المبحث أثارت مسائل تبناها المستشرقون بشكل مباشر ولم يخضعوها إلى منهج نقدي، وهو المنهج الذي يعتبرونه جزءاً مهماً في بحوثهم ودراساتهم.

لم يكتفوا بذلك بل أسسوا عليه فرضيات جاهزة ونظريات ما زالت قائمة حتى الآن وكأنها قانون، مع أن المشركين في مكة أدلوا بما هو أوضح منها آنذاك، لكنهم تخلوا عنها عندما بين القرآن الكريم خطلها، وتحداهم أن يأتوا بسورة بل بآية واحدة مما يأتي به محمد عليه السلام، ففشلوا في الرد وأحبطت آراؤهم وانسحبوا من ميدان الصراع الفكري التوحيدي مع الرسول عليه السلام.

من جانبهم، بقي المستشرقون يكررون المزاعم نفسها دون منهجية، ما يعزز الرأي بأن الكثير من المستشرقين النصارى هم من رجال الدين أو من المتخرجين من المدارس اللاهوتية والأديرة، وقد حاولوا جاهدين رد الكثير من آيات الله في قرآنه الكريم إلى أصول نصرانية[1].

(١) مغنية، جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص١٠".

المبحث الثالث

علاقة النبي (ﷺ) باليهود

نظر المستشرقون الفرنسيون إلى العلاقة بين النبي (ﷺ) واليهود من زاويتين:

الأولى فكرية عقائدية دينية، تدور حول مدى التأثير اليهودي على الدين الإسلامي، حيث ادعوا أن الإسلام اقتبس من اليهودية مسائل مهمة عدة، وأن محمداً عليه السلام كان من الذكاء والعبقرية بحيث أفلح في تطويع العقائد اليهودية المطبقة عند اليهود، والواردة في التوراة، بما يتناسب والبيئة العربية بحكمة بالغة.

والثانية سياسية، وتتصل بطبيعة العلاقة التي سادت بين الرسول عليه السلام واليهود، حيث اعتبر العديد من المستشرقين الفرنسيين بأنها اتسمت بالقسوة البالغة وهي – أي قسوة النبي عليه السلام – أكبر بكثير من الإساءات والخيانات التي مارسها اليهود ضده عليه السلام.

وأسهب المستشرقون الفرنسيون في وصف ما تعرض له اليهود من جانب النبي والمسلمين، حتى يخيل وهو ما يرمون إلى تحقيقه وكأن النبي عليه السلام وأصحابه هم مجرد قتلة سفاكي دماء، مجرَّدين من الإنسانية[١].

واستند المستشرقون الفرنسيون في ما يخص الجانب الفكري العقائدي الديني، إلى وجود عناصر من التشابه في العقائد والتعاليم والعبادات كالصلاة والصيام. ففي الأولى، كان توجه المسلمين في البداية نحو القدس. وفي هذا الجانب، يتجاهل المستشرقون أن الصلوات فرضت بعد الإسراء والمعراج، أي قبل الهجرة إلى المدينة بفترة طويلة، فيقول إبن أسحاق في رواية "عن يونس عن أسباط بن نصر عن اسماعيل السدي قال: فُرض على رسول الله الخمس في بيت المقدس ليلة أسري به قبل مهاجره بستة عشر شهراً"[٢].

ويذكر ابن سعد رواية مصدرها محمد بن عمر الواقدي مرفوعة في سندها إلى أبي بكر رضي الله عنه: "قالوا: فرضت عليه الصلوات الخمس ونزل جبريل عليه السلام فصلى برسول الله (ﷺ) الصلوات في مواقيتها"[٣]. أما صلاة الجمعة التي

---

(١) انظر مكسيم رودنسون، وهو يصف الموقف في كتابه (محمد) حيث يصور ما جرى لليهود قائلاً "وعندما انبلج الفجر الأحمر لشهر مايو (٦٢٧م) على مقابر بن قريظة الجماعية، استطاع محمد استشراف المستقبل باطمئنان Rodinson, Maxime. Muhammad P-214.

(٢) المبتدأ والمبعث والمغازي، ج٢، ص٢٧٧.

(٣) الطبقات الكبرى، ج١، ص١٤٣.

جعلها المستشرقون تقليداً لصلاة اليهود يوم السبت، فتاريخ العقيدة الإسلامية يؤكد أنها في الأساس تجمّع ديني إجتماعي لزمن محدود ثم يذهب المسلمون بعدها الى أعمالهم، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ [1]. إلى قوله: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [2].

أما المقصود بالسبت عند اليهود فهو قضاء يوم كامل من دون عمل حيث أنهم يسبتون عشية السبت إلى مساء السبت فلا يقومون بأي عمل في سبتهم هذا[3]. أما الصيام، فإن النبي عليه السلام، عندما دخل المدينة، وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء•، وقد سنها الرسول عليه السلام حيث رأى أنه أولى بموسى عليه السلام من اليهود، واستمر كذلك حتى فرض الله صيام شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة ليحل محل عاشوراء[4]، حيث يقول تعالى في كتابه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [5].

كان المسلمون يتوجهون في صلاتهم في البداية نحو القدس، وكان النبي يتمنى دوماً أن تتبدل القبلة من القدس إلى بيت إبراهيم عليه السلام (الكعبة المشرّفة في مكة) ويصف القرآن الكريم هذا الموقف فيقول تعالى: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ [6]، و جاء عن ابن اسحاق قوله: "حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد قال: صرف القبلة عن الشام إلى الكعبة في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مهاجر الرسول عليه السلام إلى

---

(١) سورة الجمعة، آية ٩.

(٢) سورة الجمعة، آية ١٠.

(٣) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج، الإصحاح ١٦، الآيات ٢٢-٢٦، وكذلك الإصحاح ٢٠ الآيات ١٠-١١.

• هو اليوم الذي أغرق الله فيه آل فرعون ونجّا موسى عليه السلام، ومن كان معه. انظر: الملاح، هاشم، موقف اليهود من العروبة والإسلام في عصر الرسالة، [ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨] ص٤٢.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٢٦٦.

(٥) سورة البقرة، آية ١٨٣.

(٦) سورة البقرة آية ١٤٤.

المدينة"[1]. كما جاء عن الذهبي "أن القبلة صرفت في رجب أو قريباً منه"[2]. وكان صرف القبلة عن بيت المقدس أثار حفيظة اليهود الذين وصفهم الله تعالى بالسفهاء في قوله تعالى:

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾[3].

كما أشار الله سبحانه وتعالى إلى استحالة كسب اليهود واتباعهم قبلة الإسلام بقوله: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].

وفي ضوء ما تقدم، نلاحظ أن هذه العبادات والتشريعات ذات طابع عربي إسلامي وتتميز عن العقائد والعبادات في الأديان السابقة وهذا ما جعل اليهود يكيدون للمسلمين.

كما أن هذه التشريعات نمت وتطورت[5]، أما الحكمة الإلهية فهي في طبيعة وتطور هذه التشريعات بما يتناسب والمراحل التاريخية، فما كان محللاً من عادات وقيم في اليهودية والنصرانية مثلاً نسخه الإسلام وما جاء به النبي موسى وعيسى عليهما السلام في حقبة ما نسخته نبوّة محمد (ﷺ) فهو خاتم الأنبياء.

أما صراع النبي عليه السلام مع اليهود على الصعيدين السياسي والعسكري، فسنحاول توضيح معالمه بشيء من التفصيل معتمدين على مؤلفات السيرة أيضاً مع الإستدلال والإستشهاد بآيات من كتاب الله العزيز التي صورت بشكل تفصيلي حقيقة هذا الصراع، وهي حالة باتت تتردد دوماً على ألسنة المستشرقين، اليهود خاصة، لتعكس أحوال اليهود في المجتمع الإسلامي وتتحدث عن أنهم تعرضوا إلى أذى وظلم كبيرين من الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

كان اليهود قبل ظهور الذبي (ﷺ) يدركون وفق ما جاء في التوراة أن نبينا سيظهر منهم ليوحدهم ويقودهم الى مقاتلة العرب، وقد عُدَّ ظهور نبي من العرب

---

(١) المبتدأ والبعث والمغازي، ص٢٧٩.

(٢) الذهبي، أبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، التاريخ الكبير، تحقيق محمد عبدالهادي شعيره [دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٣] ص٩٠.

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٢.

(٤) سورة البقرة آية ١٤٥.

(٥) الملاح، هاشم، موقف اليهود من العروبة والإسلام في عصر الرسالة، ص٤٣.

بمثابة القضاء الكامل على هذه التوقعات والآمال، لذلك ناهضوا النبي عليه السلام وأبغضوه منذ البداية، ومما جاء في سيرة ابن اسحاق أنه قال: "حدثنا أحمد قال: حدثنا يونس عن ابن اسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتاده قال حدثني أشياخ منّا قالوا لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله (ﷺ) منا، كان معنا يهود وكانوا أهل كتاب وكنا أصحاب وثن فكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا: إن نبياً مبعوثاً، الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله تعالى رسوله اتبعناه وكفروا به، ففينا والله فيهم أنزل الله عزّ وجل[1] ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]. ولما قدِم رسول الله (ﷺ) إلى المدينة، نظم العلاقة بين جماعاتها حيث "كتب رسول الله (ﷺ) كتاباً بين المهاجرين والأنصار ووادع فيه يهوداً وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم"[3]•.

هذه الوثيقة، التي عرفت باسم الصحيفة، أوضحت معالم العلاقة بين النبي عليه السلام والمسلمين من جهة وبين اليهود من جهة أخرى على أساس من الاحترام والتعاون في المجتمع الموحد (مجتمع المدينة)، كما اعتبرهم النبي أهل كتاب.

---

(١) ابن اسحاق السيرة، ص٦٣.

(٢) سورة البقرة، آية ٨٩.

(٣) ابن هشام السيرة، ج٢، ص٣٤٨، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج١، ص١٩٧.

• ومما ورد في الوثيقة (الكتاب) التي كتبها رسول الله (ﷺ) بخصوص اليهود نقتطع منها ما يأتي:

ـ وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

ـ وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم.

ـ وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو إشتحار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله (ﷺ) وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

ـ إنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو أثم وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم وإن الله جار لمن برَّ واتقى ومحمد رسول الله (ﷺ).

ـ أن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم والمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ** إلا نفسه وأهل بيته.

** يوتغ يُهلك أو يُفسد. انظر: ابن هشام السيرة، ج٣، ص٣٥٠. انظر كذلك: الحيدر آبادي، محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للمعهد النبوي والخلافة الراشدة [ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦] ص١٥-٢١. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج١، ص١٩٧.

وعلى الرغم من ذلك، ما كان موقف اليهود؟

لقد تظاهروا بالموافقة على ما جاء بالصحيفة إلا أنهم كما أسلفنا، رفضوا فكرة أن نبياً أصله من العرب يبعث، رغم تأكدهم من نبوته، وقد شهدت صفية بنت حييّ بن اخطب بذلك، فوالدها من زعماء بني النظير، وسمعته يتحدث مع عمها حول حقيقة نبوة محمد عليه السلام، إلا أنه أضمر له العداوة حيث قال: "نعم والله إنه هو وما بيني وبينه إلا العداوة ما حييت"(١).

كما ساهم اليهود مع بعض المشركين في المدينة تظاهروا بالإسلام فكوّنوا وسطاً مثيراً للإشاعات والمكائد، وهدفوا من وراء ذلك إلى تمزيق الوحدة والتماسك اللذين أوجدهم الإسلام بين المسلمين؛ وقد وصفهم الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾(٢).

وقال ابن اسحاق: "وكان ممن انضاف إلى يهود ممن سمي لنا من المنافقين من الأوس والخزرج"(٣).

عمل اليهود على التشكيك بنبوة محمد (ﷺ) وتكذيبه من خلال الحوارات والمناظرات التي كانوا يتقصدون فيها الإتيان بكل ما يلبس الحق بالباطل، كما حاول بعضهم ذلك من خلال الاعتناق الظاهري للإسلام، ويذكر ابن اسحاق أسماء أشخاص "ممن تعوذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار اليهود"(٤)، وغيرهم ممن كانوا يستهزئون بالشعائر الإسلامية، كما كان بعضهم يعتنق الإسلام لفترة ثم يتركه ليظهر شيئاً من الشك بالعقيدة، ونزلت آيات عديدة توضح وتكشف هذه المواقف منها: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٥). وقد زعم اليهود أن الله خصّ بني إسرائيل وحدهم بالنبوة وهم بذلك يثبتون كما وصفهم القرآن متذكرين لكل أنبياء الله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٣٦٣.
(٢) سورة المائدة، آية ٨١.
(٣) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٣٦٣.
(٤) المصدر نفسه، ص٣٦٩.
(٥) سورة آل عمران، آية ٧٢.

مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[1]، ويقول ابن هشام: "ففي هؤلاء من أحبار يهود والمنافقين من الأوس والخزرج نزل صدر سورة البقرة إلى المئة منها"[2].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل راح شعراؤهم يهجون الرسول (ﷺ) ويشتمونه، ويحرضون الناس عليه، ويقفون حائلاً في وجه من يريد الدخول في الإسلام، ومن أبرزهم كعب بن الأشرف الذي ذهب إلى مكة بعد بدر يحرض قريشاً ويرثي قتلاها، كما كان يشبب بنساء المسلمين، وقد قال النبي (ﷺ): "من لي بإبن الأشرف فقد آذاني"[3]. وقد استدرج الأشرف ليقتل وحده حتى لا تراق دماء غيره من قومه إذا حاولوا حمايته. ومنهم أيضاً الشاعر أبي عفك الذي كان شيخاً طاعناً في السن، يحرّض على قتال النبي ويقول فيه الشعر[4].

ويضاف الى هؤلاء الشاعرة عصماء بنت مروان، التي كانت تشتم الرسول عليه السلام شتماً فاحشاً وعُرفت بسلاطة اللسان وترهب الذين يريدون الدخول في الإسلام من قومها[5].

"ومهما يكن من أمر فإن معاقبة هؤلاء الشعراء كان مهماً في جعل اليهود تحسب حساب النبي والمسلمين في المدينة"[6].

حاول المستشرقون الفرنسيون تمثيل مقتل كعب بن الأشرف بشكل درامي ومفصل، يثير الشكوك والتساؤلات[7]، في حين أن كل القوانين الوضعية والسماوية تجيز إعدام المحرض على الحرب، فضلاً عن نقضه لبنود الصحيفة التي سبق وأن ذكرت بعض فقراتها. كما أن بعض الكتاب العرب يعتبرونها "رواية مبتكرة لأنها تخالف الصحيح الثابت عن الرسول عليه السلام في تهيبه من قتل النساء والأطفال في زمن الحرب، فما بالك في أوقات السلم"[8].

---

(١) سورة البقرة، آية ٩١-٩٢.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٣٧٢.

(٣) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد، (ت٦٣٠هـ/١٢٠٩م) الكامل في التاريخ [دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م] ج٢، ص١٤٣.

(٤) ابن دحلان، أحمد بن زيني، (ت ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)، السيرة النبوية [الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣] ج٢، ص١٥.

(٥) جبري عبدالمتعال، السيرة وأوهام المستشرقين، ص١٢٧.

(٦) السهيلي، الروض الأنف، ج٣، ص١٤١.

(٧) درمنغم، حياة محمد، ص٢٣٠-٢٣٤.

(٨) جبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص١٢٧.

فقد بدأ النزاع العقيدي بين المسلمين اليهود في السنة الثانية للهجرة بعد معركة بدر[١]، واستمر لمدة خمس سنوات انتهت بإجلاء اليهود من المدينة، وهذه المدة الزمنية توضح أن النبي عليه السلام لم يكن ليجمل صراعه مع اليهود إلا مع القبيلة التي تنقض العهد معه، وكانت أولها قبيلة بني قينقاع.

يروي ابن اسحاق رواية عن عاصم بن عمر بن قتاده "إن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين الرسول (ﷺ) وحاربوا في ما بين بدر وأحد"[٢]، ولعل قوة بني قينقاع ترجع إلى مكانتهم الإقتصادية، إذ كانوا المسيطرين على سوق المدينة[٣]. وتطور موقفهم في معاداة النبي الواضحة من خلال ما كان يجري في بيت "مدراس"[٤]، وهو مركزهم الديني والثقافي ومركز للعبادة وتداول أمورهم العامة وحسم المنازعات.

حاول اليهود باستمرار إذكاء نار الفتنة بين المسلمين، وفي أحيان أخرى إظهار الازدراء للمسلمين رجالاً ونساء وإثارة السخرية، كما وقع مع إحدى النساء المسلمات في سوق بني قينقاع، تلك الحادثة[٥] التي استنجدت فيها المسلمة بالمسلمين، فأنتجت قتالاً بين اليهود والمسلمين، وقتل فيها يهودي ومسلم، وعلى أثرها تحدى بنو قينقاع النبي بقوتهم وتحصنوا بحصونهم، فسار إليهم رسول الله (ﷺ) "وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد حصار ... وقد قذف الله في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكمه، وان له أموالهم، وقد كلّم عبدالله بن أبي سلول، رسول الله عليه السلام وألحَّ عليه فقال خذهم وأمرهم أن يجلوا عن المدينة[٦].

شدّد المستشرقون عامة والفرنسيون خاصة على الموقف من إجلاء بني النضير، وقد أورد درمنغم[٧] الموقف قائلاً: " إذ ظهر منهم ما اعتقد به (أي بالنبي) إنهم يعملون على خيانته ... وقد قام محمد من الإجتماع ببني النضير بغتة وخرج راجعاً".

وواقع الحال أن غدرهم ومحاولاتهم التآمر على حياة النبي عليه السلام حينما طلب منهم المساعدة في ديّة العامريين (وهو أمر منصوص عليه في الوثيقة) اللذين

---

(١) الذهبي، التاريخ الكبير، ج١، ص١٦٧.
(٢) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٥٦١.
(٣) الحديثي، نزار عبداللطيف، الأمة والدولة في سياسة النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين [دار الحرية، بغداد، ١٩٨٧]، ص١١٣.
(٤) الملاح، هاشم، موقف اليهود من العروبة والإسلام في عصر الرسالة، ص٢٠.
(٥) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٥١١.
(٦) الذهبي، التاريخ الكبير، ج١، ص١٦٩.
(٧) حياة محمد، ص٢٥٤.

قتلهما عمر بن أميّة خطأ بعد وقعة بئر معونة، حيث كان النبي جالساً إلى جنب جدار بعد أن كلّمهم بشأن الديّة. ولما خلا بعضهم ببعض "قالوا لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن رجلاً يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه، فقال عمر بن جحّاش بن كعب، أنا"[١]، وقد جاء "أن سلام بن مشكم قد نهاهم عن طلبه وقال لهم هو يعلم، فلم يقبلوا منه، صعد عمر بن جحّاش، فأتى الخبر من السماء إلى رسول الله (ﷺ)، بما عزموا فقام راجعاً إلى المدينة[٢]. وقد عبّرت مؤامرتهم، فضلاً عما كانوا قد قاموا به بحق الإسلام ونبيه، عن استحالة الوثوق بهم، فبعث النبي يطلب منهم الجلاء عن المدينة، إلا أنهم رفضوا أمر النبي، وشجعهم على هذا العصيان زعيم المنافقين، لذلك تحصّنوا في حصونهم ورد المسلمون بقطع النخيل وحرق الزرع[٣]، ما أثار رعبهم وخوفهم فسألوا النبي فك الحصار وحقن دمائهم، وعرضوا أن يخرجوا بما حملت الإبل من الأموال إلا السلاح فأجابهم، وخرجوا إلى خيبر[٤].

وقد جاء في تفسير السهيلي لسيرة ابن هشام قوله: "إن النبي لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس يقوت الناس وكانوا يقتاتون العجوه ويؤكد ذلك قول الله سبحانه وتعالى - وما قطعتم من لينة – ولم يقل – من نخلة[٥].

وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ ﴾[٦].

وعلى الرغم من التسامح الذي عامل فيه الرسول (ﷺ) بني النضير، فإنهم لم يرتدعوا بل استمروا في التآمر وتأليب القبائل على النبي عليه السلام حيث يقول الواقدي: "لما أجلى الرسول عليه السلام بني النضير ساروا إلى خيبر وكان بها من اليهود قوم أهل عدد وجلد وليست لهم من البيوت والأحساب ما لبني النضير... فلما قدموا خيبر خرج حييّ بن أخطب (من بني النضير) في بضعة عشر رجلاً إلى مكة، يدعون قريشاً وأتباعها إلى حرب محمد (ﷺ)، فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمداً"[٧].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٤٠٣.
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٧٣.
(٣) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٤٠٣.
(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٧٣.
(٥) السهيلي، الروض الأنف، ج٢، ص٢٥٠.
(٦) سورة الحشر، آية ٢.
(٧) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م) كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونسن [دار المعارف، مصر، ١٩٦٥] ج٢، ص٤٤١.

وعندما استفسرت قريش من اليهود عن حقيقة دين محمد (ﷺ) بوصفهم أهل علم بالكتاب القديم، ردّوا قائلين "أنتم أولى بالحق منه، إذكم لتعظمون هذا البيت، وتقومون على السقاية، وتذحرون البُدن وتعبدون ما كان عليه آباؤكم فأنتم أولى بالحق"[١].

وقد أنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [٢].

كما اتصلوا ببني غطفان من قيس عيلان ودعوهم إلى حرب الرسول (ﷺ) [٣]، وجعلوا لهم (أي لبني غطفان) تمر خيبر لمدة سنة تشجيعاً لهم للحرب ضد النبي عليه السلام. وهكذا استطاع بنو النضير أن يُجيشوا الجيوش ضد النبي عليه السلام مطالبين بالثأر من المسلمين[٤].

أما بشأن موقف الرسول (ﷺ) من بني قريظة، فهو عنصر آخر شدد عليه المستشرقون لإظهار العلاقة بين النبي واليهود وكأنها في غير صالح اليهود تعمداً.

وحقيقة الأمر أن زعماء "الأحزاب" وجدوا لبني قريظة دوراً مهماً في كسب معركتهم مع النبي عليه السلام. فهم - أي بنو قريظة - كما يقول حييّ بن أخطب لأبي سفيان، حسب رواية الواقدي عن أبي أيوب عن النعمان عن أبيه "أهل حلقة وافرة، وهم سبعمائة وخمسين مقاتلا"[٥]، وطلب أبو سفيان من حييّ أن يرجع إليهم ليشجعهم على نقض العهد القائم بينهم وبين محمد عليه السلام. ونجح حييّ في إقناعهم بنقض ما بينهم وبين النبي (ﷺ) من عهود[٦]، وأصبحوا من خلال موقفهم المستجد شوكة في ظهر المسلمين، فهم في داخل المدينة وهي محاصرة من الأحزاب في موقعة الخندق.

يحدثنا الواقدي برواية عن ابن أبي سبره عن الحارث، أن بني قريظة عزموا على أن يغيروا على بيعة المدينة ليلاً، فأرسلوا حييّ بن أخطب إلى قريش أن يأتيهم منهم بألف رجل ومن غطفان ألف، فيغيروا بهم. وقد جاء الخبر رسول الله (ﷺ)[٧].

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٤٢.
(٢) سورة النساء، آية ٥١.
(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٤٤.
(٤) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٤٥٤.
(٥) المغازي، ج٢، ص٤٥٤.
(٦) السهيلي، الروض الأنف، ج٣، ص٣٦١.
(٧) المغازي، ج٢، ص٤٦٠.

وعلى هذا، قرر النبي عليه السلام أن يوجه قسما من الجيش لحراسة المدينة، وعمل على كسب الوقت ومحاولة تفريق خصومه[١].

بعد أن تأكد نقض بني قريظة للعهود والمواثيق بخيانتهم المسلمين و هم في حالة حرب مع أعدائهم[٢]، وتحقق النصر للنبي عليه السلام، خاف بنو قريظة خوفاً شديداً، ولم يكن النبي قد أمر بعد بقتالهم"[٣] حتى جاء جبريل عليه السلام وقال له إن الله يأمره أن يسير إلى بني قريظة. فأمر النبي عليه السلام مؤذناً، فأذن في الناس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلّين العصر إلا ببني قريظة"[٤].

حاصر النبي عليه السلام بني قريظة حوالي الشهر متجنباً قتالهم، ولما اشتد الحصار، أرسلوا أنهم يوافقون على الإستسلام، وقد حكم النبي فيهم سعد بن معاذ الأوسي لأن اليهود كانوا يثقون فيه. وحكم عليهم سعد بأن يقتل المقاتل وتسبى الذراري والنساء وتقسم الأموال[٥]. وقد حكم فيهم حُكم الله.

ويلاحظ أن المستشرقين لم ينتقدوا موقف قريظة الخياني وتآمرهم على مصير الإسلام والمسلمين، بينما يسلطون سهامهم إلى ما وقع من أمر لا بد منه بالنسبة الى هذا الموقف الخياني.

ثمة آراء حول صحة هذه الرواية والحكم على بني قريظة، فرجال قريظة وعددهم ما بين ٦٠٠ و٧٠٠ رجل يعتبرون أسرى حرب[٦]، وقد اتبع الإسلام مع الأسرى سياسة خاصة بدأها النبي عليه السلام في معاملته أسرى بدر حيث أوصى صحابته رضي الله عنهم خيراً بالأسرى[٧]، وقد كان يفادي فيهم على قدر مالهم، ومنهم من افتدى نفسه بتعليم عشرة من غلمان المدينة القراءة والكتابة[٨]، وهناك من جعله الرسول (ﷺ) يذهب من أسرى بدر لقلة ماله وكثرة عياله[٩].

إلاّ أن ما حصل لبني قريظة يقع تحت طائلة الفتح عنوة، وشروطه معروفة، فضلاً عن خيانتهم للرسول عليه السلام في أحرج أوقات الحرب، ما يجعلهم في خانة

---

(١) السهيلي، الروض الأنف، ج٣، ص٢٦٥.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٤٦.

(٣)الواقدي، المغازي، ج٢، ص٤٩٦.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، ج٣، ص٣٤. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص٦٨.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٢٩٦. السهيلي، الروض الأنف، ج٣، ص٢٦٧.

(٦) الملاح، هاشم، موقف اليهود من العروبة والإسلام، ص٥٨-٥٩.

(٧) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص٢٦٥.

(٨) المصدر نفسه، ص٢٨٧.

(٩) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الإرب في فنون الأدب [نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، مطابع كوستا توماس، القاهرة، بلا] ج١٧، ص٦٢.

مجرمي الحرب، والتي تجيز القضاء عليهم. وعلى الرغم من صحة هذا الرأي الذي ينطبق بشكل أساسي على زعماء بني قريظة، فإن الأجدر أن يكون النبي قد قتلهم وأخذ الفدية عن الباقين كما هو متعامل فيه[1]، انسجاماً مع الآية الكريمة: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

أما الموقف من يهود خيبر فهو نموذج آخر من النماذج التاريخية لمواقف الرسول (ﷺ) التي علّق عليها المستشرقون مصورين حالة اليهود في علاقتهم مع المسلمين.

تنبع مبررات غزوة خيبر من الخطر الذي شكلته على الإسلام والمدينة التي تقع على الطريق بين مكة وخيبر وكلاهما معادٍ، بعد أن أصبحت خيبر مركزاً لتجمع اليهود، ما يعني أن المدينة شبه مطوقة.

كما أن خيبر تتمتع بإمكانيات إقتصادية تؤ هل اليهود فيها لتجييش الجيوش وتمويلها[3] لمعاداة النبي عليه السلام.

وعليه، كانت غزوة خيبر هجومية في ظاهر ها، إلا أنها دفاعية في جوهر ها، يدافع فيها المسلمون عن عقيدتهم ووجودهم.

والجدير ذكره أن بعض اليهود الذين بقوا في المدينة ووادعوا النبي، ساءهم ما سيحدث ليهود خيبر فطالبوا بديونهم لدى المسلمين ليضغطوا عليهم إقتصادياً حتى أنه لم يبق ليهودي حق على مسلم، كما أفلحوا في إيصال أخبار المسلمين الى اليهود بشأن هذه الغزوة[4].

---

(١) يعتبر رودنسون أن المجزرة وقعت ولأسباب سياسية وبسبق أصرار. وأنه لو تركهم النبي (ﷺ) لتجمعوا ضده، ولكن الأموات وحدهم لا يعودون، كما أنه رجل سياسي - أي النبي عليه السلام - ورجال السياسة لا يعيرون للاعتبارات الإنسانية أي مكانة، أنظر: Rodinson, Mohammad, P-214

(٢) سورة الأحزاب، آية ٢٦-٢٧.

(٣) الأمين، عبد محمد، (الإستشراق، والعلاقات الإسلامية اليهودية في السيرة النبوية) مجلة مركز بحوث السيرة، جامعة قطر، العدد ٩، ١٩٩٧، ص٤٢٤-٤٢٥.

(٤) الواقدي، كتاب المغازي، ج٢، ص٦٤١.

وحاول يهود خيبر الاستعانة بغطفان، كما جهزوا حصونهم المنيعة وحرسوها استعداداً للقاء المسلمين الذين فاجأوهم في الموقع المناسب عند الصباح[١]. وتمكن النبي عليه السلام وصحابته رضي الله عنهم من اختراق حصون خيبر المنيعة، حصناً حصناً حتى تبين لليهود أنهم هالكون، عندئذ سألوا الرسول (ﷺ) حقن دمائهم فوافق الرسول (ﷺ) على الفور وصالحهم على نصف أموالهم ولم يُجلهم عن أرضهم.

ولما سمع بهم يهود فدك، بعثوا إلى النبي (ﷺ) يسألونه الصلح وحقن الدماء ففعل[٢].

وحاصر وادي القرى التي حاولت المقاومة، لكن الخصوم استسلموا عندما أدركوا عجزهم عن المقاومة، وصالحهم النبي عليه السلام على ما صالح عليه خيبر وفدك حيث ترك لهم النخل والأرض وعاملهم عليها[٣].

كما صالحه أهل تيماء على الجزية أسوة بغيرهم فأقاموا ببلادهم وأرضهم بأيديهم[٤].

بعد هذا الاستعراض، نجد ان عملية اجلاء اليهود من المدينة وفتح خيبر كانا نتيجة لا سبباً. فالعلاقة بين المسلمين واليهود خلال مرحلة استقرار المسلمين في المدينة أُسست في البداية تأسيساً مدنياً عن طريق الوثيقة التي صرحت بأنهم جزء لا يتجزأ من مجتمع الدولة العربية الإسلامية الجديدة.

لكن اليهود ظلوا ينظرون إلى الدين الجديد وكأنه تهديد لمصالحهم رغم أنهم كانوا يترقبون ظهور نبي جديد.

والحرب، كما هو معروف، لا سيما إذا لم تحقق عروض السلام التي عرضها الرسول نجاحاً، فحكمها واضح لا سيما الفتح عنوة.

وفي سفر التثنية في التوراة نصٌ يفسر الحالة بشكل آخر، وربما يوضح للمستشرقين في حال انتصار اليهود على المسلمين، لا سمح الله، ماهية تصرفهم.

جاء في السفر: "حين تقترب من مدينة لكي تحاربها، استدعها للصلح فإذا ما أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون ذلك للتسخير وتستعبد لك وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يديك فاضرب رؤوس جميع ذكورها بحد السيف، أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك"[٥].

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٤٢. البخاري، صحيح البخاري، ج٣ ص٤٩.

(٢) السهيلي، الروض الأنف، ص٤١-٤٣.

(٣) الواقدي، كتاب المغازي، ج٢، ص٧١١.

(٤) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص٤٥.

(٥) العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح العشرون، الآيات- ١٠-١٥.

ومن هنا ينبغي على المستشرقين دراسة الجذور التاريخية لهذه الأحداث بغية الوصول إلى استنتاجات منطقية.

المبحث الرابع

تعدد زيجات الرسول (ﷺ) وموقف الإستشراق الفرنسي منه

وقف المستشرقون بشكل عام على مسألة زيجات النبي عليه السلام عندما درسوا سيرته وحياته، وشرعوا يصوغون صفات وخصائص نابعة من مجتمعاتهم الأوروبية المتساهلة في العلاقة بين الرجال والنساء.

كما اتخذوا من زواج النبي عليه السلام من زينب بنت جحش رضي الله عنها، مطلقة متبناه زيد بن حارث سبباً للإساءة لمقامه الطاهر، حيث صور الرسول عليه السلام عند البعض بأنه "زير نساء"• وفسر عند البعض الآخر تفسيراً بايولوجياً بمعنى امتلاكه "قوة جبارة وشهوة جامحة" حتى صُوِّر عليه السلام وكأن لا هم له في الدنيا إلا الزواج والرغبة في التسري وإن كان على حساب الآخرين.

والجدير بالذكر أن هذه التفسيرات لم تقتصر على مستشرقي القرون السابقة، بل نجد أنها استمرت إلى العصر الحديث، فنجد مثلا (دي لكمبر) Anne-Marie Delcambre في الكتاب المعنون "محمد" Mahomet[1] باللغة الفرنسية قد اتى في جزء من كتابه على موضوع تعدد الزوجات، حيث ذكر أنه لمن الصعب التصور أن لهذه الشخصية والتي تحمل صفات النبوة أن تولي الحياة الخاصة هذا الاهتمام الكبير.

وما يثير الدهشة والإستغراب أن هؤلاء المستشرقين حمّلوا المسألة أكثر من مضمونها وأهدافها، إذ رأوا أنها حالة يصعب الصفح عنها، مع أن الرسول عليه السلام لم يخرج عن حدود ما جاء في الإسلام الحنيف، أو عن حدود المشروعية التي يرتكز عليها عالم المدنية والتقدم في العلاقات الإنسانية بين المرأة والرجل في عصرنا الحاضر (الزواج). أما الأعداد الهائلة من الأبناء مجهولي النسب فهو أمر لا يجب الخوض فيه، لدى الغرب عموماً، لارتباطه بجزء من الحريات الشخصية، وإنما المهم هو تعدد زوجات النبي!.

• يقول لوبون: إن حب محمد الطاغي للنساء، هو نقطة ضعفه الوحيدة. حضارة العرب، ص١١٢- وأفرد درمنغم فصول باسم بعض زوجات النبي، إضافة لفصل بعنوان الحريم في كتابه (حياة محمد). أما ديمومبين فيرى أن هناك أسباباً فسيولوجية ونفسية لانقسام حياة محمد الزوجية إلى مرحلتين.

Mahomet, pp-68-69

(1) Delcambre,Anne-Marie,Edition Desc lee' de Brouwer, 1999,PP-114,115

وقد استشهدوا بالنص القرآني: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ (١)، وهو أمر لم يحافظ عليه النبي عليه السلام كما يزعمون بدليل تفرده بالزواج بأكثر من أربع نساء، وهذا سلوك يحط من شأن المرأة بشكل عام(٢).

وللرد على مزاعم المستشرقين في هذا المجال، يجدر بنا أن نطلع ولو بشكل سريع على بعض من أحوال المرأة قبل الإسلام.

فقد كانت المرأة• أداة للإستيلاد والإنجاب والخدمة، هذا إذا ما سمح لها بالحياة، وكان الرجل الذي تولد له ابنة كمن يصاب بالعار، فيظل في حيرة من أمره وخجل حتى يغطي التراب كل أثر لجسدها، وقد جاء تصوير هذا الموقف في تأديب من يمارس هذه العادة الشائعة في بعض القبائل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ (٣).

لم يكن هذا الأمر مقصوراً على العرب وحدهم حيث لم يكن لها حرمة في ذلك الزمان عند الكثير من الأقوام(٤).

كما وصفت المرأة في التوراة على "انها شباك وقلبها أشراك ويداها قيود(٥)"، وفي النصرانية اعتبرت "المرأة مطية الشيطان، والعقرب الذي لا يتردد قط عن لدغ أي إنسان"(٦).

وفي عام (١٥٨٦م) عقد اجتماع في فرنسا لبحث شأن المرأة حول "ما إذا كانت تعد إنساناً أم لا تعد إنساناً، وبعد النقاش قرر المجتمعون أن المرأة إنسان لكنها مخلوقة لخدمة الرجل"(٧).

---

(١) سورة النساء، آية ٣.

(٢) أحد فصول كتاب درمنغم (حياة محمد) عنوانه - الحريم - وتمنى درمنغم في نهاية الفصل لو أن النبي لم يجعل من نفسه قدوة في هذا الأمر، ص٣٢٣.

• وهذا لا يعني أن المجتمع العربي كان خالياً من النساء اللواتي استطعن أن يتفوقن ويتميزن في الحياة الفكرية والثقافية، وقد اشتهرت أسماء كثيرات وفي مجالات الحياة المختلفة، إلا أن هذا التفوق كان قدرة جبارة وموهبة فذة ذاتية استطاعت أن تفرض نفسها على مجتمعها برغم التقاليد.

(٣) سورة التكوير، آية ٨-٩.

(٤) لوبون، غوستاف،حضارة العرب، ص٤٠٣.

(٥) العهد القديم، سفر الجامعة،الإصحاح ٢٧، آية ٢٦.

(٦) أبو خليل، شوقي، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، [منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، طرابلس، ١٩٩١] ص١٥١.

(٧) شلبي، أحمد، مقارنة الأديان، الإسلام [ط٥، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٧٧] ص٢١٣.

وتعدد الزوجات أمر عرفته الأديان السماوية وغيرها، ومنها التوراة، وأقره الإنجيل إلى أن حرّمته القوانين الوضعية في القرن السابع عشر(١).

وارتبطت مسألة تعدد الزوجات عند الأنبياء بأمور عديدة وأهداف إنسانية ومضامين وأبعاد إجتماعية وسياسية وبغايات وأهداف الرسالات السماوية التي كلفوا بإبلاغها للبشر. فإبراهيم عليه السلام لم يحظ بزوجة واحدة فقط، وكذلك يعقوب عليه السلام وداوود وسليمان الذي تذكر المصادر التاريخية عنه أنه جاوز في زيجاته المئة(٢).

والمعروف أن الإسلام أخرج المرأة من مجتمع الظلمات إلى مجتمع الهداية، بدءاً بمنع وأدها، مروراً بحسن معاملتها ومعاشرتها، وانتهاءً بإقرار حقوقها وحفظها، وقد حفل كل من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بما يؤكد نظرة الإسلام الخاصة والمتميزة إيجابياً عن المرأة، فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٣)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٥).

وقد شرّع الإسلام للمرأة حقوقها في الميراث والملكية بجميع أشكالها، وكذلك حقها في طلب العلم الذي يجعلها مطمئنة هانئة، كما أباح لها أن تشترط على زوجها حين العقد أن لا يتزوج عليها، كما شرع لها الحق في التخلص من الحياة الزوجية إذا وقع عليها الضرر والأذى(٦).

وفي عهد الرسالة، قامت المرأة العربية المسلمة بأدوار خطيرة، فقد شهدت العقبة، ومعارك الإسلام الكبرى كبدر وأحد وحنين، وداوت جرحى المسلمين،

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٢٢.
(٢) جبري، عبدالمتعال، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ج١، ص٢٦٠.
(٣) سورة الروم، آية ٢١.
(٤) سورة النساء، آية ٧.
(٥) سورة النساء، آية ١٩.
(٦) أبو خليل، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، ص١٥٠.

وروت الحديث النبوي الشريف[١]، وغير ذلك من المهمات الرائدة التي فاقت فيها المرأة الأوروبية، لا في العصور المظلمة الأوروبية بل في العصر الحديث.

وبهذه المكانة التي حظيت بها المرأة في الإسلام، لا يمكن أن تكون فكرة تعدد الزوجات مبنية على أساس نظرة دونية لها أو مجرد علاقة عابرة كما هو سائد في أوروبا خاصة إذا علمنا أنها مشروطة بالعدل ومحكومة بظروف ومبررات مختلفة ومتنوعة.

أما الرسول عليه الصلاة والسلام فقد كانت زيجاته بأمر من الله عز وجل لحكمة لا نعلم منها إلا اليسير ولها أبعاد عديدة مهمة في إصلاح المجتمع العربي الإسلامي الذي شهد قبل الإسلام تساهلاً في العلاقات الزوجية. ففي حديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: "ما تزوجت شيئاً من نسائي ولا زوجت شيئاً من بناتي إلا بإذن جاءني به جبريل عن ربي عز وجل"[٢].

أما عن زوجات النبي (ﷺ) فقد كانت:

- أولى زوجاته (ﷺ) كانت أم هند خديجة الطاهرة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزي بن قصي القرشية الأسدية، كنيت بولدها من أبي هالة مالك بن الذباش بن زرارة، وقد كانت قبله عند عتيق بن عبدالله بن عمر بن مخزوم[٣]، وقد كانت من أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً، وصفتها هذه دفعت الكثيرين من أبناء قومها لخطبتها والزواج منها، لكن السيدة خديجة وبعد أن أخبرها ميسرة عن أمانة محمد (ﷺ) وعظمته خلال خروجه في تجارتها إلى الشام، وكانت سيدة لبيبة حازمة وشريفة، بعثت إلى النبي (ﷺ) وقالت له: "يا ابن عم، إني قد رغبت فيك لقرابتك مني وشرفك في قومك وسطتك فيهم وأمانتك عندهم وحسن خلقك وصدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها"[٤]. ويروي ابن سعد في الطبقات أن السيدة خديجة أرسلت نفيسة بنت منبه وسيطة لتعرض عليه نفسها وفعلت[٥].

وقد تزوجها الرسول (ﷺ) وهو ابن خمس وعشرين سنة وخديجة رضي الله عنها يومئذ في الأربعين[٦]. وقد ولدت له القاسم وعبدالله ثم زينب ثم أم كلثوم وفاطمة

---

(١) الكتاني، التراتيب الإدارية، ص١١٤.

(٢) الهمزاني، أبي شجاع ابن شيرويه (ت٥٠٩هـ/١١١١م)، الفردوس في مأثور الخطاب، تحقيق السعيد بن زغلول [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦]ج٤، ص٣٣.

(٣) الكتاني، عز الدين أبي عمر عبدالعزيز بن نورالدين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن عبدالله (ت٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م) المختصر في سيرة سيدنا رسول الله، تحقيق آسيا علي الزهري [الدار العربية، بغداد، ١٩٩٠] ص٩٦.

(٤) ابن اسحاق، المبتدأ والنعت والمغازي، ج١، ص٦٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٩.

(٦) المصدر نفسه، ص٨٣.

ورقية وقد توفى الذكور في مكة، ولم يختلف الرواة في أن الرسول (ﷺ) لم يتزوج قبل الإسلام غير خديجة ولا تزوج عليها أحداً من نسائه حتى ماتت[١]. ويقول ابن سعد في طبقاته: "وقد أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أول من أسلم خديجة"[٢]. وهكذا تزوج النبي عليه السلام خديجة وهو في ريعان شبابه ومع ذلك ظلت خديجة رضي الله عنها وحدها زوجته ما يزيد عن خمسة وعشرين عاماً حتى تخطى الخمسين عاماً ولم يشرك معها زوجة أو أمة ولو شاء خلال هذه السنين لارتبط بالكثير من النساء في وقت كانت فيه النساء تبدين زينتهن ولم يكن قد ضرب عليهن الحجاب، دون أن يكون ذلك خروجاً على العرف أو المألوف في البيئة العربية آنذاك[٣].

واستمر هذا الزواج الهادئ الهانئ كل هذه السنين، وليس من الطبيعي أن ينقلب محمد عليه السلام بعد أن اختارته العناية الإلهية وتجاوز الخمسين من عمره، ليفسر موضوع زيجاته بدافع شخصي، أو مجرد رغبة بالنساء، وبما لا يليق بنبي استطاع برسالته أن يغير مجرى التاريخ[٤]. وهكذا مثل زواج النبي عليه السلام من خديجة رضي الله عنها وبقاؤها الزوجة الوحيدة حتى وفاتها، موقف النبي عليه السلام وطبيعته، وذلك قبل نشوء متطلبات الحكمة العملية النابعة من الرسالة ومسؤولياتها لتقرر ظروف وصيغ الزواج التي تمت بالطبع بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها، وقد ناهزت الرابعة والستين في مكة قبل الهجرة بثلاث سنوات[٥]، والتي ظل عليه السلام محباً ووفياً لها، ما أثار حفيظة وغيرة زوجته عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها التي قالت: "ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة"[٦]، كما وصفها النبي (ﷺ) بخير نساء الأرض[٧].

---

(١) ابن عبدالبر، أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي [القسم الرابع، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠] ص١٨١٨-١٨١٩.

(٢) الطبقات، ج٨، ص١٠.

(٣) البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة [ط٧، الدعوة الإسلامية، دمشق، ١٩٧٨] ص٥٧-٥٨.

(٤) هيكل، محمد حسين، حياة محمد، ص٣١٨.

(٥) كحالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام [ط٣، الرسالة، بيروت، ١٩٧٧]ج١، ص٣٣١.

(٦) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٢٣.

(٧) ابن حجر، شهاب الدين، أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني، (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) الإصابة في تمييز الصحابة [دار الكتب العلمية، بيروت، بلا] مجلد ٤، ج٨، ص٦٢.

وتجدر الإشارة الى أن النبي عليه السلام تزوج بعدد من النساء بعد السيدة خديجة رضي الله عنها وهن حسب تسلسل أغلب المصادر الإسلامية سودة بنت زمعة، عائشة بنت أبي بكر، حفصة بنت عمر بن الخطاب، زينب بنت خزيمة، هند بنت أبي أمية، زينب بنت جحش، جويرية بنت الحارث، صفية بنت حيي، أم حبيبة بنت أبي سفيان، ماريا القبطية، ميمونة بنت الحارث، وسيتم تناولهن حسب طبيعة تناول المستشرقين لسيرتهن رضي الله عنهن جميعاً.

ـ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك ابن حسل" ويقال حسيل" بن عامر بن لؤي، تزوجها النبي عليه السلام بعد وفاة خديجة في مكة[١].

أرملة ابن عمها السكران بن عمرو من المهاجرين إلى الحبشة توفي عنها في مكة مسلماً[٢]، ولم يرو في التاريخ أنها كانت ذات جمال باهر أو ثروة عظيمة، أو مكانة إجتماعية عالية، لكي يطمع أو يرغب بها الرسول (ﷺ)، لكنها زوجة رجل من السابقين في الإسلام، تحملت وزوجها المشاق والأذى في سبيل الدعوة الجديدة، وعليه فزواج النبي عليه السلام منها هو تقدير لجهاد زوجها وسمو بها ورعاية لها. وهذا الزواج لا يمكن أن يكون قد تم برغبة دنيوية.

- أما زواج الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام من السيدة عائشة رضي الله عنها، فيروي ابن هشام أن النبي تزوجها وهي بنت سبع سنين أو عشر، ولم يتزوج بكراً غيرها كما هو متفق عليه، وقد زوّجه إياها أبوها[٣]، وفي رواية أخرى لإبن معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: "تزوجني رسول الله (ﷺ) وأنا بنت ست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع سنين وقبض وأنا بنت ثماني عشرة سنة[٤].

يقول ابن سيد الناس إن عائشة وأبويها رضي الله عنهما كانا من أحب الناس إلى رسول الله[٥]. فزواج الرسول عليه السلام من عائشة رضي الله عنها كان تأكيداً لصداقته مع صاحبه ورفيق هجرته أبي بكر رضي الله عنه. وكانت عائشة رضي الله عنها تفخر على أزواج النبي بأنه لم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيرها، وأن الوحي كان ينزل عليه وهو عندها، وقد قبض الله نفسه وهو عندها ودفن في بيتها. وحبها للنبي عليه السلام لم يكن يظهر فقط في غيرتها من نسائه بل ظهر جلياً في اختيارها

---

(١) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٦٧.
(٢) ابن اسحاق، المبتدأ والمبعث والمغازي، ج٥، ص٢٣٨.
(٣) السهيلي، الروض الأنف، ج٢، ص٢٥٤.
(٤) ابن حجر، الإصابة، مجلد ٤، ج٨، ص١٣٩.
(٥) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج٢، ص٣٠١.

الله ورسوله والدار الآخرة حينما خيرها النبي بينه وبين زينة الحياة الدنيا[١]. والسيدة عائشة رضي الله عنها ممن أكثروا في رواية الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام، كما يروى أنها كانت على قدر من الذكاء والفصاحة والبلاغة[٢]. وعن عروة جاء أنها كانت فقهية وهذا ما تعلمته من النبي، أما علمها بالشعر والناس فبفضل والدها أبي بكر رضي الله عنه. أما الطب فتعلمته من الوفود التي أتت رسول الله أيام مرضه حيث تنعت له فتعلمت أن تعالجه[٣].

وهكذا نرى زواجه بالسيدة عائشة في جانبه الأساسي جاء تقديراً وتكريماً للرجل الذي صدقه وآمن به، وتمتيناً لأواصر الجماعة الإسلامية.

- أما قصة زواج الرسول عليه السلام من حفصة ابنة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فقد كان تلبية لرغبة عمر في زواج ابنته بعد أن توفي عنها زوجها خنيس بن حذافة حيث يقول ابن عبدالبر: "لما تأيمت ذكرها عمر لأبي بكر وعرضها عليه فلم يرجع إليه أبو بكر كلمة، فغضب من ذلك عمر ثم عرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله (ﷺ) فقال عثمان ما أريد أن أتزوج اليوم، فانطلق عمر إلى رسول الله عليه السلام فشكا إليه عثمان وأخبره بعرضه حفصة عليه، فقال النبي عليه السلام تتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة. ثم خطبها إلى عمر فتزوجها رسول الله (ﷺ)[٤].

ويروى أن عمراً حثا التراب على رأسه عندما سمع أن الرسول عليه السلام طلق حفصة وقال "ما يعبأ الله بعمر وابنته"[٥]، ثم يأتي أمر الله عبر جبريل عليه السلام إلى الرسول (ﷺ)، "إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة بعمر، ثم أراد أن يطلقها ثانية فقال له جبريل لا تطلقها فإنها صوامة قوامة"[٦]. ومن تأديب عمر لابنته عندما علم أنها تراجع النبي ويظل يومه غضبان فقال لها: "والله لقد علمت أن رسول الله عليه السلام لا يحبك ولولا أنا لطلقك"[٧].

---

(١) ابن سعد الطبقات، ج٨، ص١٣٣، انظر كذلك: كحالة، عمر، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج٣، ص١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٩.

(٣) الأصبهاني، أبي نعيم أحمد بن عبدالله (ت٤٣٠هـ/١٠٣٩م) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء [ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧] مجلد ١-٢، ص٥٠.

(٤) الاستيعاب، ج٤، ص١٨١١.

(٥) ابن سيد الناس،عيون الأثر في فنون الغازي والشمائل والسير، ج٢، ص٣٠٢.

(٦) المصدر نفسه، ص٣٠٢.

(٧) هيكل، محمد حسين، حياة محمد، ص٤٤٥.

يفهم مما تقدم أن زواجه من حفصة لم يكن لغاية دنيوية جسدية وإنما لغاية أسمى من ذلك تتصل بفكرة تقدير أصحابه وإعلاء شأنهم وتوثيق الروابط معهم.

ـ تزوج رسول الله عليه السلام من زينب بنت خزيمة الهلالية من بطون هوازن والملقبة بأم المساكين، بعد أن مات عنها زوجها عبيده بن الحارث شهيداً يوم بدر[١]، ولم تلبث كثيراً في بيت النبوة وقد أدركها الموت[٢]، وكانت أول من مات من نسائه في المدينة[٣]. عرفت بطيبتها وإحسانها للفقراء لذلك كان لقبها "أم المساكين".

وكما يبدو أن هذا الزواج كان تضميداً لجراح إمرأة مسلمة، وتقديراً لشهادة زوجها في سبيل الإسلام. وتلتقي الغاية من زواج النبي (ﷺ) بزينب الهلالية بغاية زواجه من أم سلمة.

- هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية التي كانت زوجة عبدالله بن عبد الأسد بن هلال بن عمر بن مخزوم، وقد هاجر وزوجته إلى الحبشة ومنها إلى المدينة في ما بعد. وتوفي متأثراً بجراحه في معركة أحد، زاره النبي وهو على فراش الموت وظل يدعو له بالخير إلى أن مات[٤].

تزوجها الرسول في السنة الرابعة للهجرة[٥]، واهتم بتربية ابنتها، فشبت في رعايته وتكفل بتزويجها[٦].

ـ ولزواجه عليه الصلاة والسلام بأم حبيبة حكمة أخرى مهمة، فهي بنت أبي سفيان زوجة عبدالله بن جحش. هاجرا إلى الحبشة معاً، مات زوجها فيها بعد أن تنصر وارتد عن الإسلام، وقد ثبتت على إسلامها مع ابنتها[٧]، شاعرة بالخزي، فوالدها من جهة هو أبو سفيان الذي يعلن حرباً على النبي (ﷺ) غير قادرة على العودة إلى مكة، وزوجها ارتد عن الإسلام[٨]. فبعث النبي عليه السلام يخطبها من النجاشي، الذي أمهرها وبعث بها عروساً إلى المدينة[٩]، فدخل بها النبي عليه السلام في السنة السابعة للهجرة وقد قاربت الأربعين من عمرها، ونقل عن ابن عباس قوله إنه حين تزوجها النبي (ﷺ)

---

(١) ابن سعد الطبقات، ج٨، ص٨٢.
(٢) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٥٣.
(٣) ابن اسحاق، المبتدأ والمبعث والمغازي، ج٥، ص٢٤١.
(٤) ابن اسحاق، المبتدأ والمبعث والمغازي، ج٥، ص٢٤٢.
(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٤٢.
(٦) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٥٤. انظر كذلك: بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن، نساء النبي [دار المعارف، طبعة خاصة، القاهرة، ١٩٧٣] ص١٤٩.
(٧) ابن اسحاق، المبتدأ والمبعث والمغازي، ج٥، ص٢٤٢.
(٨) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٩٢٩، بنت الشاطئ، نساء النبي، ص٢٦٠.
(٩) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٧٠.

نزل قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١). وبلغ من إجلال أم حبيبة للنبي عليه السلام أنها لم تسمح لأبيها أن يجلس على فراش النبي، حيث طوت الفراش حين جاء لزيارتها، وعندما سألها عن ذلك قالت له إنه فراش النبي وأنت رجل مشرك(٢).

ـ على إثر غزوة خيبر وانتصار المسلمين فيها، وقعت في الأسر صفية بنت حيي بن أخطب اليهودية وكانت زوجة كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق الذي قتل أثناءها، فأعتقها الرسول عليه السلام وجعل عتقها صداقها(٣). ويقول ابن حجر إن نسبها يعود إلى ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام. وقد أسلمت وحسن إسلامها(٤). ويروي ابن سعد: "وقد أخبرنا محمد بن عمر فقال حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال لما دخلت صفية إلى النبي عليه الصلاة والسلام قال لها لم يزل أبوك من أشد اليهود لي عداوة حتى قتله الله فقالت يا رسول الله إن الله يقول لا تزر وازرة وزر أخرى فقال لها رسول الله (ﷺ)، اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقين بقومك، فقالت يا رسول الله لقد هديت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني، حيث صرت إلى رحلك وما لي في اليهودية إرب وما لي فيها والد ولا أخ وخيرتني الكفر والإسلام فالله ورسوله أحب لي من العتق وأن أرجع إلى قومي، قال فأمسكها رسول الله (ﷺ) لنفسه"(٥).

هذه القصة فيها من الدلالات الإنسانية الكثير، إذ تنطوي على رفض التميز إلا على أساس تقوى الله ومن التسامح والكرم لأنها ابنة أحد زعماء اليهود الذين ناصبوا الرسول العداوة، وفيها دعوة للسلام لأنها الأسيرة التي خيرها الرسول عليه السلام بين زواجه منها أو الالتحاق بقومها، وقد ظل النبي عليه السلام يحيطها بالرعاية حتى وفاته، كما بادلته نفس الوفاء والإخلاص(٦).

ـ تشابهت قصة صفية بنت حيي مع قصة جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن خذيمة الخزاعية المصطلقية. فقد روى ابن اسحاق عن الزبير عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية في السهم لثابت بن قيس أو لإبن عم له

---

(١) سورة الممتحنة، آية ٧.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص١١٢.

(٣) ابن اسحاق، المبتدأ والمبعث والمغازي، ج٥، ص٢٤٦.

(٤) الإصابة، مجلد٤، ج٨، ص١٢٦. ويروي ابن حجر أنها كانت عند سلام بن مشكم ثم خلف عليها كنانة ابن الربيع.

(٥) الطبقات، ج٨، ص٨٨.

(٦) ابن حجر، الإصابة، مجلد ٤، ج٨، ص٤٤.

فكاتبته على نفسها، فأتت رسول الله (ﷺ) تستعينه في كتابتها، وأخبرته أنها جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد سألها إذا كانت توافق بأن يتزوجها النبي عليه السلام، ويؤدي عنها كتابتها، فوافقت على هذا التكريم، وتزوجها الرسول عليه السلام، فلما بلغ ذلك الناس، قالوا أصهار رسول الله (ﷺ)، فأرسلوا ما كان بأيديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق الله بها مائة من أهل بني المصطلق[١].

وهكذا أكرم النبي بني المصطلق ومسح ما كان من ويلات الحرب وآلامها، فهذه هي المصاهرة الشريفة.

ـ ماريا القبطية التي جاء في التاريخ أنها كانت هدية من المقوقس للنبي تزوجها بملك اليمين[٢]، والوحيدة التي ولدت له إبراهيم الذي توفي بعد ثمانية عشر شهراً، ولاقت من النبي (ﷺ) كل رعاية وعطف ومحبة.

ــ وكانت آخر من تزوج النبي ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية المضرية، فقد تأيمت من أبي رحيم[٣]، وتزوجها الذبي حسب رواية ابن سعد في السنة السابعة للهجرة وقد زوجه إياها العباس بن عبدالمطلب وكان ولي أمرها حيث كان زوج أختها أم الفضل[٤]، ويروى أنها من وهب نفسه للنبي وسماها ميمونة بعد أن كان اسمها برة[٥]. وقد أنزل الله تعالى فيها قوله: ﴿ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾ [٦]، وهي خالة خالد بن الوليد وعبدالله بن عباس[٧]، وقد عكس زواج النبي عليه الصلاة والسلام من ميمونة تقديره لعمه العباس، وخرج من مكة بعروس من أشرف نساء قريش بقوة العقيدة، بكل ما لهذا الحدث من تأثير نفسي على القريشيين بعد أن دخل محمد عليه السلام مكة وطنه

---

(١) ابن اسحاق المبتدأ والمبعث والمعازي، ج٥، ص٢٤٥. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٦٦. ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٠٤. ابن حجر، الإصابة، مجلد٤، ج٨، ص٤٤.

(٢) ابن اسحاق، المبتدأ والمبعث والمغازي، ج٥، ص٢٤٥، ابن سعد الطبقات، ج٨، ص٨٨. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٦٦.

(٣) ابن اسحاق، المبتدأ والمبعث والمغازي، ج٥، ص٢٤٥.

(٤) ابن سعد الطبقات، ص٩٣. وأم الفضل زوجة العباس وهي لبابة بنت الحارث وقيل إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة، الإصابة، ج٨، ص٢٢٦.

(٥) السهيلي، الروض الأنف، ص٢٥٥. ابن عبدالبر، الاستيعاب، ص١٩١٦، ابن حجر، الإصابة، ج٨، ص١٩١، ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤، ص٥٤٥.

(٦) سورة الأحزاب، آية ٥٠.

(٧) ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/ ١٠٢٤م) جوامع السيرة النبوية [علوم القرآن، دمشق، ١٩٨٤] ص٢٣.

الغالي مؤدياً العمرة ومزهواً بفرحة النصر المرتقب حينما تفتح أبواب مكة للإسلام وإلى الأبد.

ـ أما زواج النبي (ﷺ) من زينب بنت جحش، فقد آثار قريحة المنافقين في التاريخ الإسلامي والمستشرقين عامة والفرنسيين على وجه التحديد واستفزت خيالهم•، وقد كشف بوضوح الإنتقائية في اعتماد أحداث السيرة على وفق ما وردت في المصادر الأصلية.

وهي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبره بن مرة الأسدية وهي ابنة عمة الرسول (ﷺ)، فأمها أميمة بنت عبدالمطلب بن هاشم(١).

يقول ابن سعد في طبقاته: "قدم النبي (ﷺ) المدينة وكانت زينب ممن هاجر مع رسول الله (ﷺ)، ... فخطبها على زيد بن حارثة، فقالت يا رسول الله (ﷺ) لا أرضاه لنفسي وأنا أيم قريش، قال فإني قد رضيته لك فتزوجها زيد بن حارثة"(٢). وخضعت زينب لأمر الله ورسوله حيث نزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾(٣)، ورغم إذعان زينب لهذا الزواج إلا أن زيداً لم يكن قادراً على قيادتها، بل كانت تفخر عليه دائماً بحسبها وأنها لم يجر عليها رق، فاشتكى زيد إلى النبي غير مرة من سوء معاملتها إياه، وقد استأذنه غير مرة في تطليقها لكن النبي كان يجيبه دائماً بعبارة أمسك عليك زوجك واتّق الله(٤)، ولكن زيداً لم يطق معاشرة زينب وتفاخرها عليه طويلاً فطلقها. "وقد أراد الشارع الحكيم أن يبطل ما كانت تدين به العرب من التصاق الأدعياء بالبيوت واتصالهم بأنسابهم ومن إعطاء الداعي جميع حقوق الإبن، التي كان فيها الميراث وحرمة النسب(٥).

وقد أنزل الله تعالى قوله في ذلك: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾(٦).

• أفرد درمنغم فصلاً كاملاً في كتابه "حياة محمد" تحت عنوان زينب، ص٢١٩. ويذكر هذا الموضوع هنري ماسييه في كتاب الإسلام، ص٥١.

(١) بن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٥٩.

(٢) الطبقات، ص٩٣. كذلك انظر: الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٢، ص٥٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٧٣. بنت الشاطئ، نساء النبي، ص١٦٨.

(٥) هيكل، محمد حسين، حياة محمد، ص٣٢٤.

(٦) سورة الأحزاب، الآية ٤.

وإزاء هذا الأمر الرباني لن يكون من هو قادر على كسر تقاليد الأجيال و هو يعلم ما يدور في نفوس العرب في خرق هذه العادة، غير النبي عليه السلام، فلذلك كان هذا الزواج، كما كان تكريماً لإبنة عمة النبي زينب التي نفذت أمر الله في زواج لم تكن راغبة فيه، فقد جاء أمر الله في هذا الزواج في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ ﴾ (١)، وهكذا كان زواج النبي من زينب بنت جحش في السنة الخامسة للهجرة(٢). وقد كانت أول نسائه لحوقاً به حيث توفيت في خلافة عمر بن الخطاب(٣). ويروى "عن عائشة أنها ذكرت زينب بنت جحش فقالت: ولم تكن امرأة خيراً منها في الدين، وأتقى لله تعالى وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة، وأشد تبذلاً لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به إلى الله عز وجل"(٤).

يتبين مما تقدم أن زينب لم تكن بعيدة عن نظر النبي و هي ابنة عمته، و من المهاجرات إلى المدينة، وفرض عليها الزواج من زيد على الرغم مما في هذا الأمر من عار لدى العرب (كون زيد رقيقاً معتوقاً) إلا أن الرسول عليه الصلاة والسلام ونظراً إلى حبه لزيد أراد أن يزيل هذه الاعتبارات العصبية من النفوس(٥). ثم انه كان يمكن أن يخطبها لنفسه لو كان معجباً بها ولما كان اضطر لأن يكرهها على الزواج من زيد.

ومن المهم أن نوضح أن المستشرقين أغفلوا سمو الأنبياء• فوق نواميس الطبيعة في الكثير من الأمور(٦)، ومنها هذا الموضوع الذي اتبعوا فيه الروايات

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٧. وفيها أيضاً "وتخفي في نفسك ما الله مبديه"، ويبدو أن بعض المستشرقين استند إلى هذه الآية في تأويل الموقف على غير حقيقته، في حين أن تفسيرها وكما جاء عند ابن كثير: إن رسول الله عليه السلام كان قد علم إنها ستكون إحدى زوجاته وهذا الذي كان في نفسه. انظر: السيرة النبوية، ج٣، ص٢٧٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٨١. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٤٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٧٨.

(٤) ابن عبيد البر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٨٥٠.

(٥) هيكل، محمد حسين، حياة محمد، ص٢٢٣-٢٤٤. انظر كذلك: عبدالمنعم، شاكر محمود (نموذج من تهافت الاستدلال في دراسات المستشرقين) المنشورة في مجلة المؤرخ العربي، عدد ٣٠، ١٩٨٦، ص٢٩٥.

• إن المستشرقين ليتحدثون عن أنبياء اختارهم الله بطريق الوحي لهداية العالمين ومع أنهم بشر مثلنا إلا أن الله سبحانه وتعالى ميز هؤلاء الأنبياء وحفظهم من الوقوع بالخطأ فكانوا لا ينطقون عن الهوى فالرسول عليه السلام وكما ورد في القرآن الكريم: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى).

(٦) هيكل، محمد حسين، حياة محمد، ص٣٢٦.

الضعيفة والمدسوسة التي شكلت أرضاً خصبة لخيالاتهم، فأطلقوا لها العنان لتعطي صوراً للقصة تنأى بها بعيداً عن مقاصدها الحقيقية.

وفي ختام هذا البحث، لا بد من الإشارة إلى أن الزواج لم يكن عليه قيود من حيث عدد الزوجات قبل الإسلام وإلى السنة الثامنة للهجرة، حيث نزلت سورة النساء التي قيد فيها عدد الزوجات بأربع كحد أقصى، في وقت كان النبي قد بنى بزوجاته جميعهن. ويمكننا في هذا الإطار أن نسجل بعض المقاصد المبدئية والعملية في مسألة تعدد الزوجات:

١- إشارة الى آية التخيير التي خيرت فيها نساء النبي بين التمتع بالحياة ومباهجها وزينتها أو البقاء زوجات للرسول في حياة متقشفة فيها رضا الله ورسوله[١]، تكشف أن موضوع زوجاته فيه شيء رباني أولاً، لا يمكن أن يصدر عن رجل يتملكه هوى دنيوي لأنه كان يحمل الاستعداد العالي للتخلص منهن بالطلاق إذا ما رغبن عنه. وهذا ما يحمل في طياته دليل نبوة ورسالة سمت عن مقاصد الحياة الدنيوية.

٢- ويبدو أن الرسول عليه الصلاة والسلام رفض وأد الخصائص الطبيعية الإنسانية باسم الاعتبارات الروحية، ووردت العديد من الأحاديث حول التبتل والإنقطاع للعبادة فقط، إلا أنه عليه السلام كان يصلي ويقعد ويصوم ويفطر ويتزوج النساء وقال: "من رغب عن سنتي فليس مني"[٢]، حق مشروع لحماية النوع البشري.

٣- وتعدد الزوجات في الإسلام يشترط فيه العدل ويرتبط بمبررات مختلفة، ومن جانب آخر أفضل من الطلاق وما قد يسببه من تفكك أوضاع الأسرة[٣]. أما تعدد زوجات النبي عليه السلام ومن بينهن القريشية وغير القريشية، ومنهن اليهودية، الكبيرة والصغيرة والوسط في العمر[٤] فهو يعكس تنوّعاً بحد ذاته ويكشف الحكمة والمقاصد من كل زواج انطلاقاً من أهمية رابطة المصاهرة مع كبار صحابته وبعض القبائل العربية ودورها في توهين حقد المغلوبين إلى تكريم ورعاية زوجات وأبناء الشهداء المسلمين، وفي إعزاز وحماية من كان لهم مكانة في قومهم على مبدأ "ارحموا عزيز قوم ذل".

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص١٣٣.

(٢) صحيح البخاري، ج٣، ص٢٣٣.

(٣) بدوي، عبدالرحمن، الدفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره، ترجمة كمال جاد الله [العالمية للكتب، ١٩٩٩] ص٧١.

(٤) حوى، سعيد، الرسول (ﷺ) [ط٤، دار الكتب العالمية، بيروت، ١٩٧٩] ج١، ص١٦٠.

٤- مثّل تعدد زوجات النبي عليه السلام وعلاقته بالمرأة في كل الأحوال إجابات دائمية لكل ما يمكن أن يصادفها من إشكالات. كما كان بعدله وصبره وحسن معاشرته للنساء مثالاً يحتذى به، فجعل مقياس الأخلاق معاملة الرجل لزوجته[١]، فقال عليه السلام "خيركم، خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"[٢].

٥- كانت مسألة إيصال الأحكام متيسرة للنساء أكثر من خلال زوجاته اللاتي وصلت عنهن آلاف الأحاديث المروية[٣] عن الرسول عليه الصلاة والسلام. وفي خطبة الوداع، آخر محطاته الرسالية، أوصى الرسول (ﷺ) بالنساء خيراً فقال: "فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله"[٤].

استنتاجات وتوصيات

تميزت الدراسات الإستشراقية الفرنسية بشمولها لمختلف جوانب المعرفة الشرقية تاريخاً وحاضراً، كما اتسعت لتشمل أكبر مساحة جغرافية من الشرق، ساعد على ذلك الاتصال الفرنسي المبكر بالعرب والمسلمين، فضلاً عن ذبوغ عدد من المستشرقين بما تهيأ لهم من وسائل مختلفة كالجامعات والمعاهد وغيرها من المؤسسات التي ساهمت في تطور الإستشراق الفرنسي.

ونخلص إلى القول إن الدراسات العربية الإسلامية في فرنسا بقدر ما آلمت الإسلام ونبيه الكريم في تفسيراتها التي لم تتجاوز إتهام وتفسيرات قريش، بقدر ما شجعت المفكرين العرب والمسلمين على اليقظة والتنبه، وإعطاء كل ذي حق حقه.

فهناك فئة من المستشرقين لا نستطيع إلا أن نقدر عطاءها وخدماتها للتراث، فجمع المخطوطات، وتحقيق الكثير منها، إضافة إلى المعاجم المفهرسة، الكم الهائل من المعلومات في دائرة المعارف الإسلامية على الرغم مما تحويه من إضطراب، هي نتاجات شاهدة على ذلك الجهد الذي بُذل في إعدادها، بالإضافة إلى المطابع، والمجلات، والمؤتمرات الدولية.

---

(١) حوى، سعيد، الرسول (ﷺ)، ج١، ص١٦١-١٦٢.

(٢) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٩٧هـ/٩٠٩م)، السنن، تحقيق أحمد محمود شاكر وآخرون، [دار احياء التراث العربي، بيروت، بلا] ج٥، رقم الحديث ٣٨٩٥، ص٧٠٩.

(٣) علي، مولانا محمد، حياة محمد ورسالته، ترجمة منير البعلبكي [ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧] ص٢٥٨.

(٤) مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/ ٨٧٥م) الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي [دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا] ج٢، ص٨٨٩، باب حج النبي، رقم الحديث ١٢١٨.

وقد تراوحت مواقف الكُتاب والمفكرين العرب والمسلمين من الكتابات الإستشراقية الفرنسية في موضوع السيرة النبوية الشريفة بين الرفض باعتبارها إساءة ودس وتشويه، وبين القبول المتأثر باتجاهاتهم وأفكارهم، ويتوسط هذين الموقفين ذلك الذي ينظر بإيجابية وبعين فاحصة وناقدة تمييزاً للغث عن السمين.

فالفريق الرافض يعتبر الإستشراق علماً أدبياً يعبر عن صورة ما توصل إليه الغير في معرفة الشرق، واعتبر ان كتابات المستشرقين في موضوع السيرة النبوية الشريفة بشكل عام لا تختلف عن بعضها إلا في الدرجة وليس في النوع[١] "وإن أي مستشرق مهما اطلع واتسعت ثقافته واعتدلت مواقفه ونزع نحو الموضوعية، فإن لا بد في تحليله لموضوع السيرة أن يرتطم هنا أو هناك بوقائعها وبداهاتها ومسلماتها، فيخالف بعضاً من حقائقها ويمارس متعمداً أو غير متعمد تزييفاً لروحها وتمزيقاً لنسيجها العام"[٢].

لقد اعتبر هذا الفريق ان عمل الدارسين للإسلام ولسيرة النبي ﷺ ينطوي على نزعتين، الأولى تمكين الإستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، وتمهيد الذفوس لقبول النفوذ الأوروبي من خلال إضعاف القيم الإسلامية والتشكيك برموزها، مقابل تمجيد القيم الغربية المسيحية.

أما الثانية فهي "تأكيد ذلك الحقد الصليبي الذي مثله المستشرقون الفرنسيون في كتاباتهم التي تنم عن حقد على المسلمين وعن سخرية وتهكّم برسول الله محمد ﷺ"[٣].

لقد انتقد أنصار هذا الرأي بعض المفكرين والكتّاب العرب والمسلمين الذين اعتبروا أعمال المستشرقين اكتشافات علمية، وبالغوا بالثناء على جهودهم، وحّملونا ديناً لهم لما حققوه من إنجازات علمية، في حين – يضيف أصحاب الرأي الرافض – ان هذه الأعمال ليست من اكتشافات المستشرقين، بل أن المحدثين كانوا سباقين في استخدام هذه المناهج[٤]، كما أن دائرة المعارف التي رأى فيها بعض الكّتاب أنها عمدة للدارسين تنطوي على الكثير من الأخطاء والمغالطات، لذا هي غير جديرة بكل هذا الإطراء.

ويضيف هذا الفريق ان المستشرقين الذين كتبوا في السيرة النبوية الشريفة، وعندما اضطروا للإعتراف بالرسالة، ربطوا اعترافهم بأن الديانة الإسلامية التي دعا إليها الرسول ﷺ ديانة محلية تخص العرب فحسب، وليست للناس جميعاً، وهم بذلك يرفضون عالمية التوجه

---

(١) خليل، عماد الدين، المستشرقون والسيرة النبوية [دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٩م]، ص٨٩.

(٢) خليل، عماد الدين، المستشرقون والسيرة النبوية [دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٩م)، ص٩٠.

(٣) البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث صلته بالإستعمار الغربي، [ط٤، دار غريب، ١٩٨١] ص٥٤.

(٤) فرج، أحمد، الإستشراق، النرائع، النشأة، المحتوى [ط١، دارالوفاء، المنصورة، مصر، ١٩٨٧] ص٦١٤.

والتشريع الإسلامي[١]، كما يرفضون أن يكون للعرب أي دور قيادي رائد في حمل مبادئ الإسلام الحنيف وقيمه السامية ونشرها إلى العالم، كما يقللون من شأن اللغة العربية التي انتشرت مع إنتشار الإسلام[٢].

كما يربط أصحاب هذا الرأي بين الاستعمار والإستشراق، حيث شغل العديد من مشاهير المستشرقين مناصب سياسية في وزارة المستعمرات الفرنسية، أمثال دو ساسي ولويس ماسينيون وهانوتو.

وسعى المستشرقون من خلال كتاباتهم الى إضعاف ثقة الأمة بنفسها تمهيداً لارتمائها في أحضان الغرب عبر تشكيكهم بقادة تراثنا الإسلامي وبشخصية النبي ﷺ بشكل مباشر أو غير مباشر[٣].

ويضيف علماؤنا ومفكرونا - مع التأكيد على خطورة كتابات المستشرقين ومقاصدها - عوامل مهمة اعتبروها أساسية في دعم الإستشراق ومساعدته في تأدية دوره الفعّال، أبرزها:

١- الضغط العسكري والسياسي على العرب والمسلمين من خلال دور الصليبية الصهيونية في الشرق، والذي رُسمت خطوطه عبر الأحداث المتتالية خلال قرون من الزمن.

ومما تجدر ملاحظته التركيز على تصوير الجهاد في صدر الإسلام على أنه شكل من أشكال القرصنة والغزو[٤]، تشويهاً بشعاً لمقاصده، وإسقاطاً لاعتباره حقاً وواجباً على العربي والمسلم دفاعاً عن الحقوق المغتصبة وتسفيهاً لمواجهة الباطل بالحق.

٢- السياسات التعليمية التي ركز عليها المستعمرون وأسسوا حيثياتها في الوطن العربي وتركوها بعد مغادرتهم بؤراً تثير الإنقسام والتجزئة الطائفية والعرقية في التعليم والثقافة والتربية، حيث "ركّز الاستعمار الفرنسي في خططه التعليمية والتربوية على فرنسة أقطار المغرب العربي سنة ١٨٧١"[٥] وكذلك الأمر بالنسبة إلى بلاد الشام.

٣- تفاعل بعض الطلبة الدارسين في الجامعات الأجنبية عامة والفرنسية على وجه الخصوص مع المؤثرات الإستشراقية وتأثرهم بأساتذتهم من

---

(١) المطعني، عبدالعظيم، الإسلام في مواجهة الإستشراق العالي، [دارالوفاء، ١٩٧٨] ص٦١٤.

(٢) المطعني، عبدالعظيم، الإسلام في مواجهة الإستشراق العالي، ص٦١٨.

(٣) الشرقاوي، محمد عبدالله، الإستشراق دراسة تحليلية تقويمية، [مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢] ص٦٤.

(٤) صبره، عفاف سيد، المستشرقون ومشكلات الحضارة، [ط٢، دارالفكر، القاهرة، ١٩٩٧] ص٦٦.

(٥) السلاّتي، مصطفى نصر، الإستشراق السياسي، ص١٢٣.

المستشرقين بسبب ضعف حصانتهم وتشربهم تلك المؤثرات، فيعودون أكثر إخلاصاً للغرب من أمتهم، ويتحولون إلى دعاة وتلامذة نموذجيين للأفكار والدعوات التي ينادي بها المستشرقون، لا بل أكثر خطورة[١] من ذلك.

أدت هذه العوامل إلى ظهور إتجاهات عربية وإسلامية عدة منها:

أ- موقف إيجابي من الاستشراق والقبول بآراء المستشرقين وإسهاماتهم، وخاصة في بداية النهضة في مصر وسوريا. يقف خلف هذا التيار أولئك الذين تلقوا العلم في الغرب، وقد اتّسم بالتأثير القوي والمباشر بالمعلومات الواردة عن المستشرقين، وخصوصاً أسلوبهم في تفسير الأحداث الإسلامية، بدءاً بحياة الرسول ﷺ ثم الصحابة رضي الله عنهم، وقادة المسلمين، حتى أصبح الإستشهاد بإنتاج المستشرقين دليلاً على سعة ثقافتهم وأفقهم، داعمين الرأي بأن المستشرقين قدّموا خدمات جلى للإسلام.

إن وجهة نظر المنبهرين بالإستشراق عامة وبالحضارة الغربية حصراً تنطلق من واقع ان تقبل التقنية الغربية في مجالات كثيرة مختلفة، يحتم قبول ما يقوله الغرب عنا وخصوصاً أنهم يملكون القوة والسلطة ويستخدمون المناهج العلمية ويدعون إلى التحلل من المشاعر القوية والعاطفة الذاتية، وأن ما ينتجه الغرب هو على قدر كبير من الموضوعية والحكمة[٢].

يقول العقيقي: "وإذا وازنّا بين كتاباتهم بتراثنا واكتشافه وصونه وتحقيقه وبين ما قمنا نحن به في سبيله، فرأيناها تكاد تكون متساوية، ووازنّا كذلك بين ترجمة أحدهم وآثاره وبين ترجمة أحد أعلامنا وآثاره فوجدناه يضاهيه خلقاً علمياً وعدد كتبٍ لا غنى لنا عن معظمها في علومنا وآدابنا وفنوننا، ولا سبيل إلى جحد فضلها في فتح عيون الشرقيين والغربيين على ما في تراثنا من ثراء، ثم على نهضتنا الحديثة التي كانوا من دعائمها"[٣].

ويلاحظ أن هذا الموقف لم يكن نابعاً عن انبهار بالغرب فحسب، إنما هو ناتج عن تزعزع الثقة بالنفس أمام المدنية الأوروبية بكل معطياتها[٤].

ب- موقف المفكرين المتربصين بالمستشرقين والمتسلحين بسلاح المواجهة الفكرية من خلال الأخذ في الحسبان أن الحركة الإستشراقية أثرت سلباً في شريحة كبيرة من المثقفين العرب والمسلمين.

---

(١) قطب، محمد، المستشرقون والإسلام،[مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٩] ص٣٠٨.

(٢) النملة، علي بن إبراهيم الحمد، الإستشراق والدراسات الإسلامية، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٣) المستشرقون، ج٣، ص١١٥.

(٤) النملة، علي بن إبراهيم الحمد، الإستشراق والدراسات الإسلامية، ص٢٠٦.

وعلى العرب والمسلمين أن يتسلحوا بسلاح العلم والمعرفة لتوجيه النقد للمستشرقين الحاقدين، نقداً حقيقياً ومثمراً، والتخلي عن موقف المتفرج المعتدى عليه. ولا بد لنا أن نعترف بأن "الإستشراق يستمد قوته من ضعفنا، وعليه فالمطلوب منا أن نضع عن أنفسنا أغلال الوصاية الفكرية"[1]، وأن لا ننجر منبهرين وراء تقدم الغرب تقنياً، ونجعل من الحضارة الغربية الحضارة الأم التي تغدق كرماً على الآخرين، ونفهم الإستشراق من خلال كونه جزءاً من قضية صراع حضاري للحفاظ على هويتنا، وليكن ذلك بعيداً عن الإجحاف بحق من قدم للتراث الإسلامي خدمات مخلصة، ممن عرف عنهم النزاهة من المستشرقين حتى ولو كانوا قلة قليلة.

لقد عرض أصحاب هذا الطرح سبلاً وإمكانات عدة في المواجهة النافعة الناجحة، ولا أعني بذلك مواجهة المستشرقين والرد على الطعون والإفتراءات بحق النبي عليه السلام والإسلام ورموزه فحسب، بل لأن العرب أصحاب رسالة إنسانية، أضاءت شعلتها بظهور النبي ﷺ، وكلفنا الله كأمة أصيلة معطاءة بنشر نورها على العالم أجمع.

---

(١) زقزوق، محمد حمدي، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص١٣٣-١٣٤-١٣٦.

إن منهاج العمل للمواجهة يجب أن يقوم على عدد من الأسس أهمها:

أولاً: الاهتمام بمناهجنا التربوية والتعليمية، مع التأكيد على دراسة التاريخ بعيداً عن كل ما شابه، وذلك على يد أساتذة أكفّاء قادرين على تحصين أجيالنا في مواجهة كل الدعوات الهدامة لتاريخنا وتراثنا[١].

ثانياً: ضرورة التعرف الى إنتاجات المستشرقين العلمية، الغث منها والسمين وترجمتها بهدف دراستها إمّا مباشرة وإمّا عن طريق الترجمة، وإعداد مسح لكل النتاجات الإستشراقية يشمل الكتب والمجلات والدوريات، والإستعانة لذلك بالخبراء والعلماء المتخصصين مع نقد المناهج التي اعتمدها المستشرقون، وعرض الشبهات التي رددوها، والتعرف إلى المصادر التي اعتمدوها وبيان أخطائهم العلمية واللغوية والتاريخية، ويعتمد هذا النقد على الأدلة العقلية والنقلية، وأن يتفرغ العدد الكبير المناسب من العلماء للقيام بهذا العمل الكبير[٢]، وأن يكون هذا العمل تحت عنوان "موسوعة الردّ على المستشرقين".

ثالثاً: على العرب والمسلمين أن يتوسعوا في فعالياتهم وأنشطتهم العلمية ويساهموا في المؤتمرات والندوات عن الإستشراق والكتابة في المجلات والدوريات العالمية.

رابعاً: العمل على إصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية واللغات الأجنبية تكون مرجعاً علمياً يضاهي الموسوعات الأجنبية عن الإسلام، إذ لا يعقل أن نعود إلى دائرة معارف أجنبية في كل صغيرة وكبيرة عن الإسلام ديناً والحضارة العربية الإسلامية.

خامساً: ترجمة إسلامية دقيقة لمعاني القرآن الكريم والأحاديث النبوية[٣] الشريفة، وتأليف الكتب في السيرة النبوية بالاعتماد على مصادرها الأصلية والروايات المتفق عليها والبعيدة عن الدس وبلغات مختلفة.

سادساً: تأسيس ودعم المؤسسات العلمية والأكاديمية التي تؤدي دوراً بحثياً وإعلامياً، بالإضافة إلى دور رئيس في تبني ونشر نتاجات علمائنا، والاتصال بالهيئات الإستشراقية العالمية.

سابعاً: إقامة معاهد وأقسام في الجامعات تكون متخصصة في الدراسات الإستشراقية، تمنح الدارسين درجات علمية عالية. وإنه لمن المستغرب أن جامعاتنا لم

---

(١) صبره، عفاف سيد، المستشرقون ومشكلات الحضارة، ص٢٤٠.

(٢) السائح، أحمد عبدالرحيم، الإستشراق في ميدان نقد الفكر الإسلامي، ص٢٧٠.

(٣) النملة، علي إبراهيم بن الحمد، الإستشراق والدراسات الإسلامية، ص٢٢٨-٢٢٩.

تعمل على إنشاء أقسام الدراسات الإستشراقية، في حين نجد أن جامعات أوروبا وأميركا تزخر بآلاف المعاهد التي تدرس الشرق وتراثه[1].

(١) السائح، أحمد عبدالرحيم، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، ص٧٤.